

المقبر

مدن العرب

يظن بعض الجاهلين أو المتجاهلين لحسنات المدنية الإسلامية أن العرب إبان عزمهم لم يأتوا شيئاً يذكر في أعمال العمران وأن قصاراهم أن تتقفوا بعض المدن الفارسية واليونانية وتمتعوا بها قرون ثم نقلوها إلى من بعدهم من أمم المدنية الحديثة في الغرب يقول بعضهم أنهم كانوا في فن البناء دون الرومان وأن قصورهم الباقية لا تشهد بفض عجب في الهندسة على أن الباقي من آثارهم إلى اليوم في الأندلس ومصر والشام والعراق وفارس والهند شاهد أبدي للدهر بإبطال دعوى المدعين وما يحكى في صدورهم من الأهواء.

ولقد رأينا بعضهم يتوكلون في الخط من أدار العرب في العمران على الفصل الذي عقده ابن خلدون في مقدمته في إن العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب الذي قال في آخره وانظر إلى ما منكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الحقيقة كيف تقوض عمرانهم وأفقر سكانه وبدلت الأرض فيه غير الأرض فليس قرارهم خراب إلا قليلاً من الأمصار وعمران العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان لتفرد أجمع

والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول
المائة الخامسة وقرسوا بها ثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحقت بها وعادت بسائطه
خراباً كنها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كنده عنراً تشهد به آثار
العنران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمداشر.

هذا ما يحجون به ولو علموا أن مقصد ابن خلدون بالعرب هنا البدو أو البادية أو
العربان الرحل كما نسيهم لعهدنا لارتفع كل إشكال وإلا فإن المدن التي مدنها العرب
أيام عزهم والأمصار التي مصروها والقرى التي عمروها لا تدخل تحت حصر في كل
قطر دخولوه ولو أياماً مما يتيسر لغيرهم من الأمم كالترك مثلاً الذين حكموا الأقطار
الواسعة العامرة بطبيعتها ستمائة سنة ولا تكاد تعرف مدينة لهم أسسوها ولا مواتاً
أخصوه ولا ماء أسالوه وشغلهم الشاغل حروب وغزوات هكذا مضوا أيام القوة
وهكذا الحال زمن الضعف.

ومن قرأ كتب وصف البلاد تتجلى له مقدار عناية العرب ببناء مدنها منذ ذلك على
سبيل المثال ما رواه الأقدمون في كيفية بناء سامرا أو سُرّ من رأى إحدى المن العباسية
التي أنشئت على دجلة على مسافة ثلاثين فرسخاً من بغداد فقد قالوا أن السفاح أراد
أن يبني سامرا فبنى مدينة الأنبار بمحاذاتها وأراد المنصور بعد أن أسس بغداد بناءها فابتدأ
بالبناء في البردان ثم بدا له وبني بغداد وأراد الرشيد بناءها فبنى بمحاذاتها قصراً وهو بإزاء
آثر عظيم قديم كان للأكاسرة ثم بناها المعتصم ونزلها في سنة ٢٢١ وكان الرشيد قد
حفر قمراً عندها سماه القاطول وأتى الجند وبني عنده قصراً ثم بنى المعتصم أيضاً هناك
قصراً ووهبه لمولاه أشناس فلما ضاقت بغداد عن عساكره وأراد استحداث مدينة كان
هذا الموضع على خاطره فجاءه وبني عنده سر من رأى بنى داراً وأمر عساكره بمثل

ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت أعظم بلاد الله وبني فيها مسجداً جامعاً في طرف الأسواق وأنزل أئمناس بن عزم إليه من القواد كرخ سامرا وهو كرخ فيروز وأقام ابنه الوثاق بسامرا حتى مات بها ثم ولي المتوكل فأقام بالهاروني وبني به أبنية كثيرة وأقطع الناس في ظهر سر من رأى في الحيز الذي كان احتجره المعصم واتسع الناس بذلك وبني مسجداً جامعاً فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعنو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فرائح فجمعوا الناس فيه وتركوا المسجد الأول واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامرا واشتق نهر آخر وقدره الدخول إلى الحيز فبات قبل أن يتم وحاول المتصر تنجيه فلنقص أيامه لم يتم ثم اختلف الأمر بعده فبطل وكان المتوكل قد أنفق عليه سبعمائة ألف دينار.

ولم يبن أحد من الخلفاء يسر من رأى الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم والجعفري اخذت عشرة آلاف ألف درهم والغريب عشرة آلاف ألف درهم والشيدان عشرة آلاف ألف درهم والبرج عشرة آلاف ألف درهم والصح خمسة آلاف ألف درهم والمليح خمسة آلاف ألف درهم وقصر بستان الإيتاخية عشرة آلاف ألف درهم والتل علوه وسفله خمسة آلاف ألف درهم والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف درهم والمسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف درهم وبراكون للنعتر عشرين ألف ألف درهم والقصر بالموكنية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين ألف ألف درهم والبهو خمسة وعشرين ألف ألف درهم والنولوة خمسة آلاف ألف درهم فذلك الجميع مائتا ألف ألف وأربعة وتسعون ألف ألف درهم.

وكان المعتصم والواثق والمتوكل إذا بنى أحدهم قصراً أو غيره أمر الشعراء أن يعمل فيه شعر فمن ذلك قول عني بن الجهم في الجعفري الذي لنتوكل:

وما زلت أسمع أن المنور ... ك تبي على قدر أقدارها
وأعني أن عقول الرجال ... ل تقضي عنها بآثارها
فلنا رأينا بناء الإما ... م رأينا الخلافة في دارها
بدائع لم تراها فارس ... ولا الروم في طول أعمارها
ولنروم ما شيد الأولون ... ولنغرس آثارهم أحرارها
وكنا نحس لها نخوة ... فطامنت نخوة جبارها
وأنشأت تحتج المسنين ... على منحديها وكفارها
صحوح تسافر فيها العيون ... إذا ما تجنت لإبصارها
وقبة منك كان النجور ... م تضيء إليها بأسرارها
نظمن الفسافس نظم الحلي ... لعون النساء وأبكارها
ولو أن سليمان أدت له ... شياطينه بعد أحبارها
لا يقن أن بني هاشم ... تقدمها فضل أخطارها

وقال الحسين بن الضحاک:

سر من را أسر من بغداد ... قال عن بعض ذكرها العناد
حبذا مسرح لها ليس يخنو ... أبداً من طريدة وطراد
ورياض كأنما نشر الزه ... ر عليها محير الأبراد
وأذكر المشرف المثل من الت ... ل على الصادقين والوارد
وإذا روح الرعاء فلا تن ... من رواعي فراقه الأولاد

ولد فيها وبفضلها على بغداد:

على سر من رأى المصيف تحية ... مجللة من مغرم بمواها

إلا هل لمشتاق ببغداد رجعة ... تقرب من ظليلها وذراها

محلان لقي الله خير عباده ... عزيمة رشد فيهما فاصطفاهما

أفي كل يوم شفت عيني بالقذا ... حرورك حتى رابني ناظراهما

قال ياقوت ولم تزل كل يوم سر من رأى في صلاح وزيادة وعناية منذ أيام المعتصم والواثق إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل ففنا ولي المستعين وقويت شوكة الأتراك واستبدوا بالملك والثولية والغول وانفسدت دولة بني العباس لم تزل سر من رأى في تناقض للاختلاف الواقع في الدولة بسبب العصبية التي كانت بيد أمراء الأتراك إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك سر من رأى بالكيفية المعتصم بالله أمير المؤمنين كما ذكرناه في التاج وخربت حتى لم يبق منها إلا موضع المشهد الذي ترعّم الشيعة أن به سرداب القوائم المهدي ومحنة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامرا وسائر ذلك الخراب يباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض كنها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع منكأ منها فسبحان من لا يزول ولا يحول.

وذكر الحسن بن أحمد المهدي في كتابه المسنى بالعريزي قال وأنا اجترأ بسر من رأى منذ صلاة الصبح في شارع واحد ما عليه من جانبيه دور كأن اليد رفعت عنها لنوقت لم تعدم إلا الأبواب والسقوف فأما حيطانها فكالجدد ففنا زلنا نسير إلى ما بعد الظهير حتى انتهينا إلى العنارة فيها وهي مقدار قرية يسيرة في وسطها ثم سرنا بعد الغد على

مثل تلك الحال فيما خرجنا من آثار البناء إلى نحو الظاهر ولا شك أن طول البناء كان أكثر من ثمانية فراسخ.

وكان ابن المعتز مجتازاً بسامرا متأسفاً عليها وله كلام متثور ومنظم في وصفها ولما استندبر أمرها جعلت تنقض وتحمل أنقاضها إلى بغداد ويعبر بها فقال ابن المعتز:

قد أفقرت سر من رأى ... وما لشيء دوام

فالنقض يحمل منها ... كأنها آجام

ماتت كما مات فيل ... تسفل منه العظام

وكتب غنى وجه حائط من حيطان سامرا الخراب:

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من ... حكم الخلائف آياتي غنى الأمم

فكل ما فيه مبدول لطارقه ... ولا ذمام به إلا غنى الحرم

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض أخوانه يصف سر من رأى ويذكر خرابها ويذم بغداد وأهنيها ويفضل سامرا: كتبت إليك من بندقية قد أفض الدهر سكاها واقعد جدرانها فشاهد اليأس فيها ينطق وحل الرجاء فيها يقصر فكان عمراتها يطوى وكأن خرابها ينشر وقد وكنيت إلى الحجر نواحيها واستحث بأفيها إلى فانيها وقد تمزقت بأهنيها الديار فما يجب فيها حق جوار فالظاعن فيها محو الأثر والمقيم فيها غنى طرف ستر نهاره أرجاف وسروره أحلام ليس له زاد فيرحل ولا مرعى فيرتع فحالتها تصف للعيون الشكوى وتشير إلى ذم الدنيا بعدما كانت بالمرأى القريب جنة الأرض وقوارة المنك تفيض بالجند أقطارها عليهم أودية السيوف وغلائل الحديد كأن رماحهم قرون الوعول ودروعهم زبد السيول من خيل تأكل الأرض بحوافرها وقد بالنقع سائرهما قد نشرت في وجوهها غرراً كأنها صحائف البرق وأمسكها تحجيل كأسورة النجيين ونوطت عذراً

كالشوف في جيش يتنقف الأعداء أوائله ولم ينهض أواخره وقد صب عليه وقار
الصبر وهبت له روائح النصر يصرفه منك بملا العين جمالاً والقبوب جلالاً لا تخف
مخينه ولا تنقض مريته ولا يحطى بسهم الرأي غرض الصواب ولا يقطع بمطايا النهو
سفر الشباب قابضاً بيد السياسة على قطار منك لا ينتشر حبله ولا يتشظى عصاه ولا
تطفى جمرته في سن شباب لم يحن مأثماً وشيب لم يراهق هرمماً قد فرش مهاد عد له
وخفض جناح رحمته راجعاً بالعواقب الظنون لا يطيش عن قنب فاضل الخزم بعد العزم
ساعياً على الحق يعمل به عارفاً بالله يقصد إليه مقراً للنعم ويذل قادراً على العقاب
ويعدل فيه إذ الناس في دهر غافل قد اطمأننت بهم سيرة لينة الحواشي خشنة المرام تطير
بها أجنحة السرور ويهب فيها نسيم الجور فالأطراف على مسرة والنظر إلى مبرة قبل
أن تحت مطايا الغير وتسفر وجوه الحذر ومازال الدهر منياً بالتوانب طارفاً بالعجائب
يؤمن يومه ويفدر غده على أنها وإن جفت معشوقة الكنى وحبية المثوى كوكبها
يقظان وجوها عريان وحصاها جوهر ونسيتها معطر وتراها مسك أدفر ويومها غداة
ولينها سحر وطعامها هنيء وشراها مريء وتاجرها مالك وفقيرها فاتك لا كبغداد كم
الومضة الومدة الهواء جوها نار وأرضها خبار وماؤها حميم وتراها سرجين وحيطانها
نور وتشرينها قوز فكم من شمسها من محترق وفي ظننها من غرق ضيقة الدار قاسية
الجوار ساطعة الدخان قليلة الضيفان أهنها ذئاب وكلامهم سباب وساتنهم محروم
ومنها مكتوم لا يجوز إنفاقه ولا يحل خنائه حشوشهم مسايل وطرفهم مزايل وحيطانهم
أخصاص وبيوتهم أقفاص ولكل مكروه أجل وللبقاع دول والدهر يسير بالمقيم ويمزج
البؤس بالنعيم وبعد النجاجة انتهاء والهم إلى فرجة ولكل سائلة قرار وبالله أستعين وهو
محمود على كل حال.

غدت سر من را في الغناء فيألفها ... قفنا نبت من ذكرى حبيب وموئل

وأصبح أهلوها شبيهاً بآلها ... لما سجتها من جنوب وشمال

إذا ما امرؤ منهم شكاً سوء حاله ... يتولون لا تهنك أسي وتجمل

ويطول بنا المقال إذا أردنا امتقضاء أسماء المدن العربية كلها من شواطئ بحر الظلمات في الغرب إلى شواطئ أخط المهدي في الشرق قال البلخي: ومن يحصي بناء المدن وواضعي القرى ومن يعلم مبادئ إنشائها إلا الله عز وجل وهبنا أخيراً بمدن فارس عني نحو ما نجد في كتبهم والمدن التي أحدثت في الإسلام لقرب العهدة وحدة التاريخ فمن لنا بمدن مصر والهند والروم والترك وليس كل مدينة أو قرية مبنية منسوبة إلى بانيها لأنه قد تسمى المدينة باسم الباني أو باسم لها قبل حدوثها أو باسم ماء أو شجر أو شيء ما وقد يجوز أن يجمع قوم ما بموضع من المواضع فيصير ذلك مدينة فهذا بين لك أن كل مدينة لا يرجب بانياً لها قاصداً إليها إلى أن قال والكوفة مصرها سعد بن أبي وقاص وكان بها رمل فسيت به ويقال لها الكوفان والبصرة مصرها عتبة بن غزوان وسميها بحجارة بيض كانت في موضعها وواسط بناها الحجاج ويقال لذلك واسط القصب ويقال بل توسعت الكوفة والبصرة وبغداد سميت باسم موضع كان قبها ويقال لها الزوراء ويقال بع اسم صنم وسمتها الخلفاء مدينة السلام وأول من بناها جعفر المنصور بنى بها قصر الخند بناها في الجانب الغربي من دجلة وجعل حوالها قطائع لحشد ومواليه وأتباعه كقطيعة الربيع والحربية وغيرها ثم عثرت وتزايدت فلنا ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسني عسكر المهدي وتزايدت بالناس والبناء.

قال البلخي: فاعلم أن المدن تبنى على ثلاثة أشياء على الماء والكأ والحطب فإذا فقدت واحدة من هذه الثلاثة لم تبق. قال بعض الجغرافيين: مصرت البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة أربع عشرة وعظم أمرها حتى سميت قبة الإسلام ولها نخيل متصلة من عبداس إلى . ان نيف وخمسون فرسخاً ثم بني بعد ذلك واسط بناها الحجاج بن يوسف سنة ثمان وسبعين وهي جانبان بينهما جسر على دجنة طولها ستماية وثمانون ذراعاً وفي الجانبين جامعان ولما استخلف الله من بني العباس السفاح بنى مدينة قريبة من الكوفة سماها الهاشمية ثم رحل عنها إلى الأنبار فعمرها ومكنها ولم يزل بها إلى أن مات فلما ملئ أخوه المنصور بنى على دجنة بغداد ويقال أن اسمها بنك دار معناها دار العدل بالتركية كأنهم قالوا الحاكم العادل وسميت مدينة السلام لأنها يسلم فيها على الخلفاء ولأنها على نهر دجنة نهر السلام وفي تسميتها بغداد وبغداد وبغداد وكان ابتداء بنائها في سنة خمس وأربعين ومائة وتم بناؤها في سنة تسع وأربعين ثم ضاقت بالجند والرعية فبنى المهدي ولد المنصور مدينة تجاهها سماها الرصافة سنة إحدى وخمسين وبغداد من المدن والبلاد صرصر وقصر ابن هيرة مدينة بناها يزيد بن عمر بن هيرة.

واليت الآن شذرة قنية مما عثرنا عليه بالعرض من مدن العرب وأمصارهم فنسأله شيراز وهي مدينة إسلامية بناها محمد بن أبي القاسم الثقفي على أثر بناء قديم ومدينة قم كورها الرشيد وجعل لها اثنين وعشرين رستاقاً بنيت زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين وكان مكانها تسع قرى فجمعت وصارت محالاً وكان اسم إحدى القرى كنيكان فأسقطوا بعض الحروف للإيجاز والاختصار وأبدلوا الكاف قافاً.

والنصورية في الهند مدينة بنيت في صدر الإسلام وتسمى بالهندية تاميران كان موضعها غيصة يحيط بها خليج من نهر مهران. والحنة في العراق بناها سيد الدولة صدقة بن

ديس سنة خمس وأربعين وأربع مائة وتسمى الكوفة الصغرى لكثرة ما فيها من التشيع وأردوبل وتسمى أردبيل في بلاد أذربيجان ومصرت أيام الرشيد وإنما سميت باسم أردبيل بن أرميني ومراغة بناها محمد بن مروان بن الحكم وكانت قبل مراغة لدوايه فبني بذلك ومرند بناها الأفشين على أثر بناء قديم ومزيد بناها مراد بن الضحاک ومن بلاد أرمينية مدينة شكور وكانت مدينة قديمة أخربتها الصنادرية ثم جردها بغا سنة أربعين ومائتين وسماها المتوكية. ومن مدن الجزيرة مدينة أدرمة بناها الحسن بن عمر بن الخطاب التغني. وبني المنصور إلى جانب مدينة الرقة قصبة ديار مصر مدينة سماها الرفقة سنة خمس وسبعين فخرت الأولى وبقي الاسمان واقعين على مدينة واحدة ومنه مدن حضر موت في اليمن مدينة الشحر ولم تكن بمدينة وكان الناس يترلون منه في أخصاص فبني الملك المظفر صاحب اليمن مدينة بد حصينة بعد سنة سبعين وتسعمائة. وكذلك بلاد المهرة ومصرها ظفار بناها أحمد بن محمد وسماها الأحمدية في سنة عشرين ومستمائة.

وحدد قتيبة بن مسلم سمرقند وأحاط بها سوراً دوره سبعون ألف ذراع وذلك سبعة عشر ميلاً ونصف ميل هو بالفارس نحو ستة فراسخ ومدن بخارى كرمينية وبيكند والطواويس بناها قتيبة بن مسلم أيضاً. ومن مدن خراسان الجبلية ذوات الكور العريضة والأعمال الفيجة سرخس وبورجان وسامان وبيورد مدينة وزوزن وكومن بناها عبد الله بن طاهر. كما مدينة شهرستان من أعمال خراسان وبني في إقليم مازندران ودهسيان ثغراً على طرف مغارة كما بني يزيد بن المهلب سنة ثمان وتسعين مدينة بكر آباد في ذاك الصقع نفسه.

وبني عمرو بن العاص الفسطاط (مصر) وبني أحمد بن طولون القطائع ولما ملك
العبيديون مصر بني جوهر مولى المعز مدينة فوق القطائع وسماها القاهرة. وفي أفريقية
مدينة المهديّة بناها المهدي العبيدي سنة ست وثلاثمائة ومدينة بونة بنيت بعد الحسنين
وأربعمائة ومدينة بجادته وهي مدينة حسنة البناء طيبة الفناء بناها الناصر بن علناس
أحمد بن حماد سنة سبع وخمسين وأربع مائة. ومدينة وهران بنيت سنة تسعين ومائتين.
ورباط الفتح في سلا من أعمال طنجة بناها عبد المؤمن وصر الفرج بناء المنصور من بني
عبد المؤمن. والسوس الأقصى يقال أن أول من عمره وأجرى فيه الأتجار عبد الرحمن
بن مروان بن الحكم وفيه مدن كثيرة وقصبتها تاملت مدينة سهنية جنبية مسورة من
بناء عبد الله بن إدريس. ومن بلاد السوس مدينة إيفلي بانيها عبد الله بن إدريس أيضاً
ومراكش بناها يوسف بن تاشفين الصنهاجي سنة ٤٩٠ وبني مدونة مراكش فاس
وهي مدينتان إحدهما عدوت الأندلس بنيت سنة ٢٩٢ والأخرى عدوة القرويين بنيت
سنة ثلاث وتسعين ومائة. وسوق حمزة بناها حمزة بن سليمان العلوي وأشير بناها زيري
والمسيلة بناها محمد بن عبيد الله المهدي المنعوت بالقائم وسماها اخنودية وقنعة بني حماد
بن زيري والقيروان اختطها عقبة بن نافع ومدينة بطليوس بالأندلس بناها عبد الرحمن
بن مروان ومدينة نطيلة بنيت أيام الحكم بن هشام والهارونية من أعمال الفاكية بناها
هارون الرشيد.

وسلمية بالشام على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي بن عبد الله بن عباس
وطرابلس المستجدة بعد طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور وسيف
الدين قلاوون الصالح بنيت في سفح ذيل من أذيال جبل لبنان بكورة من أكوار
طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة الحربة نحو من خمسة أميال على شاطئ نهر يجري إلى

البحر وهي المدينة المعروفة اليوم البعيدة عن الميناء المعروفة بمدينة طرابلس الشام والمنصر لمدينة الطرسوس معاوية بن أبي سفيان في أيام عثمان بن عفان حين غزا قبرص ومدينة عكا بناها عبد الملك بن مروان ومرعش من بناء خالد بن الوليد وجدها مروان ابن الحكم ثم المنصور بعده وسميت الثغور لأن المتطوعين من أهل الحوزة كانوا يرابطون فيها ويعفرون مدن الروم. وأذنة (أطنة) بناها الرشيد علي نهر سيحان.

وطرسوس بنيت في أيام هارون الرشيد والمصيصة بناها المنصور وعسكر مكرم نزلها مكرم بن مطرف النخعي فصارت مدينة ونسبت إليه.

ومدينة الأقاليم بأفريقية مدينة أحدثها آل إدريس وسيند مدينة أحدثها علي ابن الأندلسي أحد خدم القائم بخاند وهي المرية من الأندلس محدثة ومدينة الزهراء بناها عبد الرحمن بن محمد خط فيها الأسواق كما قال ابن حوقل وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمنتزهات واجتنب إلى ذلك بناء العامة وأمر منادية بالنداء إلى من أراد أن يبني داراً ويتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة درهم فتسارع الناس إلى العنارة فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء.

هذا ما التقطناه في هذه العجالة ولعل بعض الباحثين يتوسعون في هذا الموضوع في رسالة علي حدة يذكرون فيها جميع ما أقامه العرب من الأمصار والقرى وأعمال العنبران كالطرق والجسور والأقمار والترع وغير ذلك مما يفيد في تصور المدينة العربية ويدعو الأخلاف إلى التطريس على آثار الأسلاف.

اللغة الانتقادية

ويقولون أشغني الأمر ص شغني بغير ألف ويقولون الشفة بكسر الشين وتشديد الفاء
ص بفتح الشين وتخفيف الفاء ويقولون شتان ما بينها ص شتان ما هما وشتان ما عمرو
وأخروه فأما إنشادهم:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فإنما هو بيت مولد وليس بحجة على الفصحاء وبيت الأعشى يقضي عليه وهو قوله:
شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان أخي جابر
ويقولون دابة شوص بالصاد ص شوس بالسين وهي بينة الشساس إذا كانت تقصص
عن الإسراج والركوب ويقولون أشرق الشمس إذا طلعت وهو غلط وإنما يقال
أرشت إذا أضاءت وصفت وشرقت بغير ألف إذا طلعت.
قنت ولا فرق بينهما عند بعض أهل النسلان ويقولون شنت يده بضم الشين ص بفتح
الشين قنت لا مانع من أن نقوله بالضم مبنياً للفعول ومثله أشنت بالألف.
ويقولون أشحت السفينة بالألف ص شحت بغير ألف ويقولون في أذن الجارية شنف
بضم الشين ص بفتحها ويقولون شويت اللحم حتى اشتوى ص حتى انشوى وإنما
المشتوي الرجل الذي يشوي قنت وقد دون الحرفان معاً في هذا المعنى.
ويقولون في يد فلان وفي رجليه شقاق وذلك غلط وإنما الشقاق داء يكون في حوافر
الفرس والدواب ص في يد فلان ورجله شقوق ويقولون لما يكون في الحائط وغيره من
صدع شق بكسر الشين ص بالفتح فأما الشق بالكسر فهو نصف الشيء والشق أيضاً
المشقة ويقولون شنت الثوب بالتشديد إذا خطته خياطة ضعيفة ص شنت أشله شلاً
بالتخفيف.

الرائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون شهب البصر بكسر الخاء وشهب الرجل بكسر الهاء ص فتحها.
 قنت فأما في شهب فالكسر مدون في المعاجم مثل الفتح ويقولون شراع السفينة بضم
 الشين ص الكسر ويقولون الشجنة بفتح الشين ص بكسرها. قال شيخنا أبو المنصور
 هو اسم الرابطة من الخيل في اليد من أولياء السلطان لضبط أهدد وليس باسم الأمير أو
 القائد كما تذهب إليه العامة والنسبة إليه شجني وهذه الكلمة عربية صحيحة
 واشتقاقها من شجنت اليد بالخيل إذا ملأته بها ويقولون لندي تأمره بالشم شم بضم
 الشين ص بفتحها ويقولون شفعت الرسولين بثالث وهو خطأ ص شفعت الرسول بآخر
 لأن النفع في كلامهم بمعنى الاثنين ويقولون للمريض أشفاك الله وهو فساد للمعنى
 المقصود لأن معنى أشفاك ألقاك غنى شفى هنكة ص شفاك الله ويقولون للنكساء الذي
 يطرح تحت السرج وينقى طرفه إلى كفل الدابة (الكباش) وهو من تعريب المولدين ولم
 تعرف العرب ذلك ص الشليل ويقولون في تصغير الشيء (شوي) ص شيني.

حرف الصاد

ويقولون منجاة الميزان بميم مكسورة ص منجاة الميزان بصاد مفتوحة وهو سماخ الأذن
 بالسين ص بالصاد ويقولون أصرفت الصبيان عن المكتب بالألف ص بغير ألف
 ويقولون امرأة صبورة ص صبور بغير هاء ويقولون الصندوق بفتح الصاد ص بضمد.
 قنت الفتح وارد ولكنه غير مشهور ويقولون بالسين أيضاً.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون رجل صعلوك بفتح الصاد ص ضنها ويقولون الصحرا مقصور ص مدها
 ويقولون الصفر عن النحاس بكسر الصاد ص بضنها.

قلت حكى الكسر أبو عبيدة وحده وهو غير معروف إنما هو الكسر بمعنى الخالي يقال مكان صفر من أهله أي خال وهذا بالكسر لا غير والظاهر أن (الفيروز آبادي) أخطأ إذ ظن أنه يضم بمعنى الخالي والصفر يقع على النحاس الأحمر واللاطون وهو ما يسيده العراقيون (الشبه) والشبه أيضاً عربية وهو بالفارسية (برنج).

حرف الضاد

ويقولون فلان لا يملك ضراً ولا نفعاً ض ضراً بفتح الضاد لا بالضم.
قلت ويقال أنه يضم ويقولون بفلان أي بيده ضعف بالفتح ض ضعف بضم الضاد.
قلت الضعف في الرأي مفتوح وفي البدن مضوم ويقولون ذهب مال فلان ضياعاً بكسر الضاد ض بفتحها قلت بالكسر جمع ضائع.
ويقولون ضر البطن بفتح الضاد وضم الميم ض فتح الضاد والميم قلت والأول وارد أيضاً.

ويقولون الضفدع بفتح الضاد والداد ض كسرهما قلت وصح بعضهم فتحها وضم الضاد وفتح الدال.

والضبع بضم الباء وهو اسم للأنتى والذكر ضبعان والعامية تقول الضبع يتسكين الباء وإنما الضبع (بالتسكين) العضد ومنهم من يقول في الأنتى ضبيعة.

قلت وعن صاحب في الأنتى ضبعة وضبعانة وقد جمعوا الأنتى والذكر على ضباع وهناك جموع أخرى. ويقولون قوى الله ضعفت وهذا دعاء على الشخص لا له ض قوى الله منك ما ضعف.

حرف الطاء

ويقولون طنفسة بضم الطاء والفاء ص طنفسة بكسرهما ويقولون امرأة طاهرة من الحيض وطالق من الطلاق بالهاء فيها ص طالق وطاهر بغير هاء ويقولون طاطيت رأسي بالياء ص بألف مهنوزة ويقولون الطيرة بإسكان الياء ص الطيرة بفتح الياء.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون أعوذ بالله من طوارق الليل والنهار وهو غلط لأن الطروق الإتيان بالليل خاصة ويقولون قرأت السبع الطوال (وهي سور القرآن الطويلة) بكسر الطاء ص بضمها وإنما الطول بالكسر اسم لنحيل ويقولون طوبينك وطوباك ص طوبى لك. قنت قيل أن طوباك لغة وعنى هذا يتزل قول القتال:

طوباك يا لينتي إياك طوباك

وهو فيما أذكر مولد وطوبى قيل أنها مصدر وقيل أنها تأنيث الأُطيب وهو عند سيبويه اسم حامل للدعاء وذكر فيروز آبادي أنها جمع الطيبة وليس صحيح كما قال ابن سيدة وطبى لغة بعض العرب وهنا قصة ممتعة تدل على شدة تمسك العرب العرباء بمصطلحاتهم ولعائهم حتى كان وراءهم دافعاً فطرياً يحجرهم عن التفوه بما لا يعرفون. قال أبو عمرو ابن العلاء العالم المتوفى سنة أقرأ على أعرابي بالحرم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبى لها) قنت له طوبى هم قال طيبى فعدت فعاد فنبأ طال عني قنت طوطو قال طي طي فتأمل ويقولون على وجهه طلاوة بفتح الطاء وهي لغة ص بضمها.

حرف العين

ويقولون أعيث الرجل بألف ص يغير ألف ويقولون في العود والحائط عوج يكسر العين ص عوج يفتح العين قس كل ما ينتصب وإنما تكسر العين في قولهم في دينه عوج وفي الأرض أيضاً بالكسر ويقولون هي عصاي بتاء قبل الياء ص هي عصاي وزعم الفراء

أن أول لحن سمع في العراق (هي عصاتي) وقتلوا هذه عجوزة بإثبات الهاء من بغير هاء
ويقولون عرج (من العرج) الرجل بفتح الراء من بكسرها ويقولون عرج بالسنة
بكسر الراء من فتحها لا غير ويقولون عندت كذا إذا قصدته بكسر الميم من فتحها
وإنما يقال عند بكسر الميم في قولك عند البعير إذا اشتكى وعند سنامه.

قنت العند في البعير أن تشدخ سنامه ويقال للشعب عبيد ومعنود كم ذلك ويقولون
عجم الزبيب وغيره بإسكان الجيم من عجم الزبيب بفتح الجيم وإنما العجم بإسكان
الجيم صغار الإبل ويقولون ماله دار ولا عقار بكسر العين من بفتح العين والعقار
النخل يقال أيضاً بيت كثير العقار (وقد يضم) إذا كان كثير المتاع ويقولون عفت
عند بالياء من بالواو ويقولون عبرت الرؤيا بالتشديد من بتخفيفها.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون استكثر من الراد خوف العوز بكسر العين من بفتحها ويقولون رجل أعزب
من عزب ويقولون كثرت عيلة فلان من كثرت عيالة والعيلة الفقر ومنهم من يقول
عائلته وليس بشيء ويقولون لسراة أيام البناء عروس من أن يقال للسراة والرجل أيضاً
عروس وفي أمثال العرب - كاد العروس أن يكون أميراً - قال الشاعر:

وهذي عروس بالميامة خالد

ويقولون في تصغير عين عوينة من عينة ويقولون عذع لغة عمرانية من عبرانية وقال
عايرت الميزان والمكيال وعابر ميزانك ومكيالك ولا تقل غيره وهم المعنيرون ولا تقل
المعنيرون وقل عيرت فلاناً كذا ولا تقل بكذا قال ليني:

وعيرتني داء بأمتك مثله ... وأي حصان لا يقال له هلا .

ويقولون لجميع الأغاني عزف ص أن يقال لا فيها عود عزف وإذا لم يكن لم تقل لها عزف ويقولون لجميع أوكار الطائر عش ص إذا كان من عيدان مجموعة فهو عش وإن كان نقياً في جبل أو حائط فهو وكر .

حرف الغين

ويقولون هو منديل الغمر بإسكان الميم ص بفتح الميم. قنت والغمر الدسم ويقولون أغاظني الشيء وقد اغتظت يا هذا بآلف ص بغير ألف. قنت وبالألف موجودة يقال أغاظه وغايظه وغيطه أيضاً. ويقولون فلان كثير الغيبة بفتح الغين ص بكسرهما ويقولون يغير عني أهله وهو كثير الغيرة بكسر الغين ص يغال بآلف وهو كثير الغير بفتح الغين.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون الغضارة بكسر الغين والغسول بضم الغين ص فتحها ويقولون غربت الشمس بضم الراء ص فتحها ويقولون لننظر في أي وقت جاء غيث أو مطر ولا مفرق ص إن كان في إبانة فهو غيث وإن لم يكن فهو مطر. قنت الظاهر أن المطر اسم عام يقع على السحاب في جميع أوقاته أما الغيث فقد يقال أنه المطر الذي يغاث به البلاد في إبان الحاجة إليه.

حرف الفاء

ويقولون فقعت عينه وفتيتها ص فقات عينه بالهزة ويقولون فالّ مشدد اللام بغير ألف ص وهو الفأل مخفف مهوز. قلت فعله مهوز في الأصل أما الاسم فكثيراً ما يحذف الهوز منه. ويقولون فكاك الرقبة بكسر الفاء ص فتحها ويقولون فصح النصارى بفتح الفاء إذا أكلوا اللحم وأفطروا ص بالكسر.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون هي الفنكة (الفنكة تل صغير مستدير) بكسر الفاء ص فتحها والقص أيضاً مفتوح الفاء وكسره لغة رديئة.

قلت الشائع اليوم ضم فاته وهي لغة أيضاً إلا أن الأفصح الفتح - وه إذا مثنت.

ويقولون الففل بكسر الفائي ص ضمها. قلت وبكسرهما مدون أيضاً.

ويقولون فلسطين بفتح الفاء ص كسرهما ويقولون فركت المرأة زوجها بفتح الراء ص بكسرهما.

قلت إنما بالفتح شاذ وليس غلطاً. والفيء لا يكون إلا بعد الزوال وأما الظل فليس أول النهار إلى آخره والعامة تسي ألفي ظلاً ولا تفرق ويقولون لبائع الفاكهة فاكهائي والعرب لا تنحق الألف والنون في النسبة إلا في أسماء مخصوصة زيد فيها للنبالغة كذا قالوا للعظيم الرقة رقبائي وللكفيف النحية لحياي ص فاكهبي.

حرف القاف

ويقولون قتل فلان شر قتله بفتح القاف ص بكسر القاف والمراد الحالة لا المرة الواحدة فالحالة كالركبة والجلسة والأكنة والمرة الواحدة لا تكون إلا مفتوحة ويقولون قد أخذته قصراً بالصاد ص قسراً بالسين ويقولون قنع الرجل بفتح النون إذا رضي ص قنع بالكسر يقنع إذا رضي وقنع (بالفتح) إذا سأل.

قلت الفيروز آبادي فتح عين الفعل في الاثنين وهو خطأ على الظاهر فإنك تقول قنع قنوعاً إذا سأل بالفتح وقنع قناعة بالكسر إذا رضي.

ويقولون أقريت الضيف بألف حى بغير ألف. قنت قرئت الضيف واقتريته أيضاً لا أقريته.

ويقولون قد قصر الصلاة بالتشديد حى قد قصر من الصلاة بتخفيف الصاد. ويقولون قسطنطينية بتشديد الباء حى بتخفيفها وهي قوارة القيص بضم القاف والتخفيف وكذلك قياس كل ما كان فضده كالقصاصمة والقراضة والعامّة تفتح القاف وتشدد الواو.

قنت قوارة الثوب ما تقطعه مستديراً منه تقول قاره وقوره وكذلك أقتاره. ويقال للأنبوية المبرية فتم لأنها قنت أي قطعت فإذا لم تبر لم تسم قنناً بل يقال أنبوية والعامّة تسميها قنناً كيف كانت ويقولون للنسافرين الراجعين منهم والمارين (الذاهبين) قفل حى يقال قفل للراجعين خاصة.

قنت يعنى في الدهن من الشوارد أنهم يقولون للنسافر الذاهب قافل تفاؤلاً بقوله أي رجوعه.

ويقولون القفاء ممدودة ويجعونه على أفقية وهو غلط حى قفا مقصور وجمعه أقفاء محدود.

قنت لم يذكر بعض أهل اللسان جمعه على أفقية ولا لوح إلى مده كما في الرسالة ورسمه آخرون محدوداً أثناء الكلام عني بعد ذكره مقصوداً في العنوان والظاهر جواز جمعه في الكثرة على أفقية أيضاً أما مده فيما أن يكون قليلاً أو ضعيفاً مأخذه.

ويقولون هذا قوم أمرك بفتح القاف حى بكسرهما ويقال ما فعلت هذا قط تريد به الماضي لأنه من قططت أي ما فعلته فيما انقطع من عمري ولا أفعله أبداً والعامّة تقول في المستقبل لا أفعل هذا قط ولا أفعله أبداً وهو غلط وقط هذه مشدودة الطاء فأما قط

فهو اسم مبني على السكون مثل قد ومعناها حسب وربما استعملت العامة كل واحدة في معنى الأخرى.

حرف الكاف

ويقولون الكتان بكسر الكاف ص بالفتح ويقولون كافيت الرجل غنى ما فعند بالياء
بغير همز ص مهووز ويقولون كنود بالواو ص بالياء مكان الواو.
ويقولون أكبيت الرجل لوجهه ص كبت بغير ألف.

قلت لا يصح عند كثير من أهل النسخ أن تقول أكبه لوجهه كما تقول كبه لوجهه
بمعنى ألقاه عليه فتعدي بهذا المعنى وإنما تقول أكب على الشيء أي لازمه وأقبل عليه
وهو قاصر غير متعمد أو تقول كبته لوجهه فأكب لمطاوعة الفعل وهذا قاصر أيضاً
وقيل أن هذا الحرف من النوادر التي يعدي ثلاثيتها (كب) دون رباعيتها (أكب) ومجد
الذين الفيروزبادي أجاز أن يقال كبه وأكبه أيضاً أما في القرآن فلم يرد الأكبه وجاء
في بعض الروايات (فأكبوا رواحهم) فقيل أن الصواب (كبوا) فالقدر الذي لا نشك
فيه أن كبه أفصح من أكبه إن لم نقل أن الثانية من الأعاليط.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون أكرة بألف ص بغير ألف (كرة). قلت إنها في القاموس لغاية فيها وكذلك هي
في كثير من كتب الفلسفة القديمة. ويستعملون في الجمع (أكبر) أكثر من (كرات).
وتول أكرت النهر أكره وأكرت الدار أكرها والعامة تقلب هذا فيقولون أكرت
النهر وكريت الدار ويقولون كفة الميزان بفتح الكاف ص بكسرها.
قلت قيل أن الفتح لغة وقال الأصمعي كل مستدير فهو كفة بالكسر ككفة الميزان
وكل مستطيل فهو كفة بالضم ككفة الثوب وهي حاشيته. وكفة كل شيء حاشيته.

ويقولون للإناء من الزجاج كأس وإن لم يكن فيها شراب ص إنما لا تسمى كأساً إلا إذا كان فيها شراب فإن لم يكن فيها فهو قدح وزجاجة وقد تسمى قدحاً وزجاجة وإن كان فيها شراب قال حسان:

بزجاجة رقصت بما في قعرها ... رقص القنوص براكب مستعجل

ولم يسنوها كأساً إلا وفيها شراب سبوا الشراب كأساً قال الأعشى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بما

ويقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى كافة أصحابه وهو غلط لأن كافة ما يكف الشيء في آخره كقولك جاء الناس طراً والصحيح أن يقال على آل وأصحابه كافة وفي العامة من يقول حدثني كافة الناس والصحيح حدثني الناس كافة ومنهم من يقول حدثني الكافة وهو غلط لأن كافة لا يدخلها ألف ولا م.

حرف اللام

ويقولون لص بكسر اللام ص بفتح اللام. قلت الظاهر أن الأفتح الفتح قال بعضهم وبالضم لغة وفي القاموس ويثلاث.

ويقولون لثة بتشديد الثاء وفتح اللام ص بكسر اللام وتخفيف الثاء وجمعها لثات ويقولون لهوت عن الشيء إذا تركته ص لهيت بالياء لا بالواو وإنما هو بالواو من الهو لا غير ويقولون لهيت إله بالياء ص لجأت إليه بالهزة ويقولون للشطرنج والترد لعبة بكسر اللام ص بضم اللام ويقولون قد لبست عليه الأمر بتشديد الباء ص بالتخفيف.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون غت الشيء بكسر الميم ولهت الكلب بكسر الهاء وهو في لسان من العيش بكسر اللام ص فتحهن قلت البيان الرخاء والرفاهية. ويقولون لشت فاهاً بفتح الثاء

ولججت يا هذا بفتح الجيم ولحت الإناء بفتح الحاء ولعقت العسل بفتح العين ص
كسر من ويقولون النحاق بكسر اللام ص فتحها وهي لحنة الثوب بفتح اللام والعامية
تضئها أم لحنة النسب فبالضم ويقولون لسمته الحية والعقرب ولا يفرق ص لسمته
لكل ما يضرب بذنبه كالزنبور والعقرب فأما ما يضرب بفيه كالحية يقال لها لذع
ويقال لما يأخذ بأسنانه كالسبع والكنب هش ويقولون فعلت هذا بعد النتيا والتي بضم
اللام ص فتحها لأن العرب إذا صغرت الذي والتي أقرت فتحد أوائنها وزادت ألفاً في
أواخرها عوضاً عن ضم أولها (للتصغير) فقالوا في تصغير الذي والتي النديا والنتيا وفي
ذاك وذلك وذيلك ويقولون لعل فلاناً قد قدم صاعته قد يقدم لأن لعل لترقب الآتي
المستقبل.

ويقول بعض من يتفصح مثل بغداد والبصرة (ما بين لابتيها مثل فلان) وهذا خطأ وإنما
ذاك في المدينة لأنها بين لابتين واللابية الحربية وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.

حرف الميم

ويقولون حديث مستفاض ص مستفيض ويقولون حديث مقارب بفتح الراء ص
بكسرها. قلت والمقارب من الحديث والدين والرأي وما أشبه ما كان بين الجيد
والرديء والمقبول والمردود.

ويقولون امرأة بلا هـ ص بالهـ والجمع مرأى ويقولون ماء مالح ص منح ويقولون
سمك مالح ص ملبح وملوح ويقولون مغزل للذي تغزل به المرأة بفتح الميم ص بكسرها
ويقولون منحفة ومروحة ومطرقة بفتح الميم ص بكسرها ويقولون ميزر بفتح الميم
وإطراح الهـ ص بكسر الميم وبالهمزة ويقولون لتقراض المقصر بفتح الميم ص
بكسرها ومنهم من يضئها فيقول المقصر.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون المنارة والرقاة بكسر الميم ص فتحتها والمريخ بكسر الميم والعمامة تفتحها والمعدن بكسر الدال وصمت الشيء بالكسر (وبالفتح أيضاً). ويقولون المطران بكسر الميم ص بضمها قال ابن السكيت يقال أخذ في فؤادي مغمص (بسكون الغين) ولا تقنيها بتحريك الغين ويقولون المروحة بفتح الميم ص بكسرها ولا تفتحها إلا أن تريد الموضع الذي تحترقه الرياح قال الشاعر:

كان راكبيها غصن بمروحة ... إذا تدلت به أو شارب ثمل

ويقولون لندي يصبح على أبواب الملوك منيار ص منوار. لأنه من النوار أو من النار ويقولون الميضة لما يتوضأ منه وفيه ص ميضة ويقولون طريق مخوف ومرص ومخوف ص مرض مخيف وطريق مخوف ويقولون (المارستان) بكسر الراء ص بفتحها وبعضهم يتفاحص فيقول النمايرستان وهو أعجني عرب.

ويقولون للشيء المبسوط مبرطح ص مغلطح ويقولون مهندز بالراء ص بالسين لا غير قال شيخنا أبو المنصور وهو مشتق من الهنداز فصيرت الراء ميأ لأنه ليس في كلام العرب زاء بعد الدال والاسم الهندسة ويقولون الذي للفنون من العنوم متفنن ص متفن وقد افتن أخذ من كل فن والمتفن الضعيف وقد تفنن أخذ من الفن وهو ما لأن وضعف من أعنى العصف ويقولون ملاك الدين الورع بفتح الميم ص بكسرها ويقولون هذا شيء معيوب ومثبوت ص معيب ومثبت وشيء مصلح ص مصلح. وقلت متعب والعمامة تقول متعوب ورجل مبعوض ص مبغض ويقال خاتم مصاغ وشعر مقال وميت مزار وفرس مقاد في الجميع أن تجعل موضع الألف واواً ويقول رجل مهيب يهابه الناس ص مهيب وإنما الهيوب الجبان الذي يهاب من كل شيء ويقولون فلان أعده الله

فهو معنول وذلك خطأ وإنما يقال عنه فهو معنول إذا سقاه العنل وهو الشرب الثاني
 ص أعنه فهو معل ويقولون فلان قد جدر (بالتضعيف) فهو محذور لتكثير الفعل
 وتكريره وهو خطأ فإن الجدري داء لا يتكرر ص جدر بالتخفيف ويقولون مقص
 ومقراض لتحديدتين يقص بهما ويقرض ص المقصان والمقراضان.

وحكى شيخنا أبو المنصور النغوي أن النصر مرض فدخل عليه الناس يعودونه فقال له
 رجل من القوم مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح وقل مصح ألم تسمع قول الأعشى:
 وإذا الخمرة فيها أزدبت ... أقل الإزباد فيها فصيح.

فقال الرجل لا بأس فيها بالسين فإنه قد يعاقب الصاد فيقوم مقامها فقال النصر فينبغي
 أن نقول لمن اسمه سليمان سليمان ونقول قال رسول الله.
 ثم قال النصر لا يكون إلا في أربعة مواضع إذا كانت مع الطاء كسطر واطر ومع
 الخاء كسخر وصخر ومع القاف كسقب وصقب ومع الغين كصدغ وسدغ فإذا
 تقدمت هذه الأحرف السين لم يجوز ذلك فلا يجوز أن نقول خصر وخسر وقصب
 وقصب وطرس وطرس.

حرف النون

ويقولون أنعشه الله رفعه بالالف ص بغير ألف. قلت أنعش مثبت عند بعض اللغويين
 ولكن الجوهرى يزيده.
 ويقولون كأنجع فيه الدواء بالالف ص نجع بغير ألف. قلت أنجع مضعفاً وأنجع أيضاً
 مدونان.

ويقولون قد نشوت في نعيه بالواو من نشيت بالياء ويقولون مكان ندي بتشديد الياء
من ندي منقوص ويقولون نصحتك من نصحت لك. قلت إنما نصحت لك أفصح وإلا
فإن نصحتك موجودة وكثير استعمالها.

ويقولون النكس في المرض بفتح النون من صنيها ويقولون أبو نواس بفتح النون
وتشديد الواو من ضم النون وتخفيف الواو ويقولون نشر كنانته من باللام (مثل)
ويقولون جاء نعي فلان يسكون العين من كسر العين وتشديد الياء وإنما النعي بتسكين
العين هو مصدر نعيته نعيًا ويقولون نشقت ربحًا بفتح الشين من بكسرها ويقولون مائة
ونيف بتخفيف نيف من تشديده. قلت قيل أنه قد خفف وقيل هو لن عند الفصحاء
ويقولون نبحت عليه الكلاب من نبحت الكلاب.

حرف الواو

ويقولون أوعدت الرجل يريدون الخير من بغير ألف ويقولون الوداع بكسر الواو من
بفتحها ويقولون أو عيت العنم إذا حفظته من وعيته بغير ألف ويقولون في صدره على
وغير بتحريك الغين من إسكانها قلت وبحرك.

ويقولون لنحمل وقر بفتح الواو من بكسرها وإنما الوقر بفتح الواو الثقيل.

الزائد من كلام ابن الجوزي

ويقولون الوقود يضم الواو يعنون الخطب من بفتحها ويقولون هذا الإناء قد وسع
الطعام بفتح السين من كسرها ويقولون لدوية اصغر من الضب الورن بالنون وهو
خطأ باللام وجمعه الورلان وقرأت على شيخنا أبي المنصور قال لم يختنع الراء مع اللام
من لغة العرب إلا في حروف يسيرة إحداها وارول جبل معروف وجول وهي الحجارة
الختيعة.

حرف الهاء.

ويقولون هجيب الرجل بالياء ص بالواو ويقولون الناس في هرج بفتح الراء ص بساكنها فأما المرج بفتح الراء فهو أن يسدر البعير من شدة الحر وشدة الطلاء بالقطران.

الزائد من كلام ابن الجوزي.

ويقولون هاتم وهاتوه ص هاتوا وهاتوه ويقولون فينا يشيرون إليه هو ذا ص هاهو ذا. قلت ويغبط كتاب العصر هنا كثيراً. ويقولون هوى الشيء إذا هبط ص أن يقال هوى الشيء سواء كان هابطاً أو صاعداً قال الشاعر:

بينما كنا في ملاكة فالتق ... أع سرعاً والعيس قوي هويّاً

خطرت خطرة غنى القلب من ذكر ... لك وهناك فينا استطعت مضياً

قلت للشوق إذ دعاني لبنت ... ولنحادين ردوا المطايا

قلت يقال أن الهوى بالفتح لنصعود ولنهبط أم البيت فيشبه أن لا يكون شاهداً في المقام لأن الهوى في السير المضي فيه دون قيد إصعاد أو انحدار.

حرف الياء.

ويقولون نظرت ثمنه وثمنه ص يمنة وشامة ويقولون فلان لا يحني ولا يمري ص لا يحني ولا يمر ويقولون فلان ما يندى غنى أصحابه ص ما يتدى غنى أصحابه.

الزائد من كلام ابن الجوزي.

ويقولون مصر يصر وشم يشم بالضم في المضارع ص بالفتح ويقولون يسوى ألفاً يساوي فنت يساوي أفصح ويسوى قليل.

ويقولون لنعرض عنهم هو ينبر هنا ص ينهي عنا بفتح الهاء يقال لحي عن الشيء ينهي إذا شغل عنه ويقولون الفأر يقرض بضم الراء ص بكسرهما قال ابن دريد ليس في الكلام يقرض (بالضم) البتة.

باب يشتغل على ما وضعته العامة في غير موضعه وهو كلام من الخليل ابن أحمد البصري.

فمن ذلك أشفار العين تذهب الناس إلى أنها الشعر الثابت على حرف العين إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر والشعر هو الهدب.

فصل

ومن ذلك الطرب يذهب الناس إلى أنه الفرح دون الجزع وليس كذلك وإنما الطرب خفة تصيب من شدة السرور أو من شدة الجزع ومن ذلك الرفقة يسوقها قافلة ذاهبة وراجعة ص أن تسنى قافلة إذا رجعت ومن ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء وليس كذلك إنما بمعنى الغضب ويقولون للنصيبة مأثم وكنا في مأثم يريدون بذلك النصيبة وإنما المأثم النساء الذين يجتنبون في الخير والشر والجمع مأثم ص أن يقال كنا في مناحة والحمام يذهبون إلى أنها الدواجن التي تستفرخ في البيوت خاصة ص الحمام ذوات الأطواق مثل الفواخت والقماري والقطا ويسون الظل فياً يذهبون بذلك إلى أنها شيء واحد ص أن يكون الظل غدواً وعياً من أول النهار إلى آخره والفء لا يكون إلا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فء وإنما سمي بالعشي فياً لأنه ظل فاء عن جانب إلى جانب أي رجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق والفء

الرجوع ويجعون أيضاً الفقير والمسكين شيئاً واحداً فالفقير الذي لا يملك شيئاً
والمسكين الذي له بئعة من العيش ويجعلون الخنف والكذب شيئاً واحداً فالخنف لما
يستقبل وذلك أن تقول سأفعل كذا ولا تفعله والكذب فيما مضى وذلك أن تقول
فعلت كذا ولم تفعله ويغنون ويقولون قد احتب له ابناً وبنتاً إذا ماتا صغيرين أو
كبيرين إنما الصواب أن يقال احتب ابنه وبنته إذا كاتا كبيرين فإن ماتا صغيرين قيل
الفرط فرطاً ويقولون فلان حيب يعنون بذلك أنه جيد الآباء ما جدهم وذلك الغلط
إنما الحيب في نفس الرجل يقال رجل حيب وإن لم يكن له آباء أشرف وأمجاد فإن
كان مجد الآباء شريفهم قلت رجل شريف أو ما جد لا غير.

باب النقيض

ويقولون اختفيت من كذا أي استررت وإنما الاختفاء إظهارك الشيء ص أن يقال في
الاستار استخيف ويقولون آخر الداء الكي ص آخر الدواء الكي وقال آخرون آخر
الطب الكي ويقولون شن عليه دره أي صهبا بشين معجنة ص بسين مهتلة وإنما يقال
شن عليهم الغارة بشين معجنة أي فرقها وذكنت شن الماء غنى شرابه إذا فرقته عليه
فإن أراد أن يصبه عليه صبا سهلاً قال سن الماء غنى وجهه بسين مهتلة ويقولون هزل
الرجل والدابة بفتح الهاء ص هزل بضم الهاء وكسر الزاء في الرجل والدابة من الهزال
وإنما يقال هزل بفتح الهاء والزاء في المزح خاصة ويقولون خمست القوم أحصمهم
و هم أعشرهم بضم الميم من خمست وضم الشين من عشرت إذا صرت لهم
خامساً و اشراً وليس كذلك إنما الصواب أحصمهم بكسر الميم وأعشرهم بكسر الشين
إلا الأربعة والسبعة والتسعة فإنك تقول فيها أربعهم وأسبعهم بالفتح.

النجف

محمد رضا الشيباني.

مباحث لغوية

كنتان لهذا من مناقب الحرب والجدال ما لا عظم الأمم اجاهدة وإن الخوف ليأخذ مني ما أخذه أمامها وكأني أسمع تلك المناقشات التي علت زمناً كنت أردت أن أخطو خطوة إلى حزامها. وكذلك فإن المناقشات النسائية عندنا كثيراً ما ظهرت في شكل المناقشات اللغوية على أي لم أمدك نفسي اليوم متأن أكتب شيئاً في هذه المسألة وأنا أعلم ماضيها المهيب وما ذلك لأني أراها سهلة ذات جاذبية بل لأني أجدتها في هذا الزمن الأخير تحتاج إلى بحث وتدقيق على أنه لو لم يكن هذا الاحتياج وسيلة كافية للعود إليها لكان لنا من تلك السابقة التي اخترعها شيهال أكبر سائق للتنسك بأهدأها.

نعد من الاستيلاء أنواعاً فنقول الاستيلاء السياسي والاستيلاء الاقتصادي الخ وله نوع آخر لطيف يتميز عن غيره بأنه يطلبه من يريد هو أن يستولي عليهم ألا وهو الاستيلاء العنسي فلا أصول الحماية في المكوس ولا بناء السدود ولا جمع الجيوش في الحدود يتمتع إن كان مقدراً. يمر مثل الطائرة فوق هذه جميعاً وهو آمن في سريره يتبخر حتى يصل إلى اخل الذي تحير. يأتي عنيت أن دعوته ويجور عنيت إن تركته. وهو كضياء الشمس يحرم من الحياة من لم يطلبه. إن دمت أن ترفع إليه فاحضع وإن شئت أن تكون حراً فاستسلم إليه أسراً. . . . ما أشد تصرعنا لأعتابه الآن! نذهب أفواجا إلى برلين وباريز ولوندرنا ونيويورك حتى يابان ولسوف ندعوه سنين عديدة أن يجيئنا لطفاً منه وتفضلاً فإذا أجاب فنسوف نحنت من غير شفقة علينا.

أحماله الكثيرة ذرة ذرة ... نعم ذا تذلل ولكن العز فيه

إن أصح الاحتلال بفتح هو الاحتلال العنفي ولكن إذا تأخر كقليل أصح . تدارك ما
ينرم لثوانه - أعني الكائنات والاصطلاحات - فإنه يأتي بها من عنده. أما هو فهو من
النجاة وحسن العشرة بمكان وأما توابعه اللفظية فإنها ويا للأسف شكسة شرسة سيئة
العشرة فإذا رأت قليلاً من السامح هجمت عليكم فأذهب حسن الذوق من
أفواهكم.

فإن كنتم تحبوا أن تدفعوا عنكم هذه التهنكة فبادروا بإحضار الكائنات
والاصطلاحات.

هذه إحدى حاجتنا التي لا تنتهي. نحن اليوم في موقف إذا أردنا أن نحفظ استقلال
لساننا - كما نحفظ استقلال منكمنا - وجب علينا فيه أن نزيد - كما زدنا قوة الجيش
- كتية كائناتنا ونسقها ونظمها. وكما أنه من المفروض منع نفوذ الغرب إذا أخذنا
حضرته فذلك من اللازم وضع سد منيع أمام حلول لسانه عندما نأخذ عنومه
وقفونه. ولكن نرى معيشتنا الجديدة تسهل علينا سرعة اختلاط اللغات. دخلت بيننا
اليوم كائنات كنا ننظر إليها بعين غريب قبل ثلاث سنوات مثلاً.

قال بكار تويست أنك بآرلمانتير ديمو كراسي بريكوتازاغ ولست أشك في أنه سـو
يتزايد هذه الحلول الوخيم بسائق المدنية وحرية المداولات.

لست ممن يميل إلى الفرار من الأجانب وإني لأرى من الإفراط أن تطرد من حدودنا
كائنات تتركت. ونقيم بدلها كزلمات من مصنوعاتنا الخفية. ولكني أعد ذلك رجحاً
كاذباً إن كانت كل إفادة جديدة تخرجنا إلى أخذ كئنة غريبة وأقول أنه لا ينبغي من
الآن فصاعداً أن نترك دائرة منك لساننا مفتحة لكل طفيلي من الكائنات غريب ولو

عينا بهذه القاعدة إلى الآن وتحشم كل محور كلفة اختراع كلفة تركية مقابل كلفة أجنبية يرى نفسه مضطراً إلى استعمالها لما كان تكدر صفو لساننا بتلك الكلمات المبرقشة التي نبين لهجتنا ولكان لتلك الكلمات المخترعة رجاء في حياتها عند من يسعى لأول مرة ويعتنيها. إبداع اصطلاح جديد لنا إليه حاجة ووضع في رأي مقبول هو أصعب من تبديل كلفة عت. وكم من كلفة جديدة أحدثها أهل الفضل والإحسان من الكتاب دخلت منذ زمن غير بعيد إلى لساننا وهي تتعل فيه بكل وشاقة.

حتى أنه ليسكني أن أسمي الواضع وأبين كيف تلقاها الناس منذ وضعها إلى الآن وأصور صفحات حياتها وإني لأذكر بعض تعبيرات لم يتم دور تأليفها ولم يمس عليها عمر تشتد فيه قوتها بأن يقبلها فيما يكتبه كاتب غير الذي اخترعها وها نحن نرى أحد الكتاب احترامين استعمل ثلاث أربع مرات كلفة ذهبيت بمعنى وغني بدون أن أناقش في مكانتها النغوية - حتى ولو كان فيها غلط من جهة - فإني أرى بأسعمالها بكل منه لأنه لا ينبغي للعطشان أن يرد نصف قدح من الماء إذا لم يجد كأساً دهاقاً. ولا ريب في أن المترجمين من بين الذين خدموا الوطن بأفكارهم وأقلامهم هم أكثر الناس تشيكا من النواقص النغوية والأسنوية في هذا الشأن. إن الأفكار الجائحة التي فهمت ولكنها استعصت على من فهمها أن يفهمها غيره هي غول المترجمين أن معرفة الناسين - كيفية وكمية - لها دخل عظيم في أداء الترجمة حقها لكن لا ينكر أن أقدر الناس ترجمة تتابده الفينة بعد الفينة حتى الحسية المتولدة من فقر الناس عندما يترجم كتاباً له قليل علاقة بدقائق الأفكار والمعاني.

إنها لا تزول جميع المشاكل باختراع كلمة تقابل كلمة أجنبية إذ أنه يوجد طرق مختلفة في أداء البيان يستحيل أن يؤدي مآلها بتلك البلاغة بوسائط أخرى. وهذا القسم من الرقي في الأسلوب مؤخر عن تكامل الكلمات وأبطأ منه سيراً فيجب علينا اليوم إذاً أن نعجل في رقي الكلمات.

حدود رخصتنا في إبداع الكلمات

كل يوم ينال لساننا قطرة لفظ أو معنى يسير به سيراً مطرداً وإن كان غير محسوس فتوسعت حتى تجمعت لدينا في ربع عصر كتابة كلمات لو كان من الممكن أن نخبر أجدادنا لأمكننا - مع فضلهم الحاصل - أن نملأ لهم صحائف مكاتيب طويلة عريضة بتركية لا يفقهونها. فمن أين أتت هذه الكلمات الجديدة مسألة؟ ذات بال؟

كان التجدد في الماديات والأجردات يأتيها ويأتي معه بأسمائه فكلمة تياترو، غوتة، دوكتور، أوميبوس، لوكوموتيف، سيفورطه، برونستو، نوطه، بيهس، آنسكلوبويا الخ وغيرها مما تتوالى لواردنا عدها طافية دخلت بينها لأنها لم تترجم بكلمة معقولة تقابلها ومهما كانت لهذه الكلمات من السلالة اللفظية في لسانها فلا أحد ينكر أنها تستقل عندنا لتباين النهجتين.

وما عدا جماعة هاته الكلمات الأجنبية التي تعيش معترلة عن كلماتنا اعتزال الأجانب في بلادنا عنا فإذك تجد معبورة لسانية أسست في مولداتنا القومية وضعها أرباب الحية من الكتاب هي أصل الثروة عندنا على ما أرى. وغني لأذكر على وجد المثال بعض كلمات من تلك الكلمات المحترمة المجاهدة التي تسعى في قضاء حاجتنا المبرمة: تدرج، صائت، صامت، عننة، تعويض، تصوت محيط، كراسه، واحة، طيارة، إحصائيات.

إن الكلمات الوطنية ويا للأسف تتألم لسوء طالعها من أنها عرضة للاستئثار من لدن أهلها أكثر من الكلمات الأجنبية إذ إننا في الأغلب نعامل اصطلاحاتنا الجديدة معاملة شديدة، ولا ترى تلك الكلمة العشوائية الخدثة في وجهها أثر تبسم مقدار ما تراه كلمة غيرها أجنبية. نحن أولاً أهل العنف والشدة نوقف تلك الكلمات المسكينة أمامنا ونفحص عن حسنها ونسبها ثم نتوهم لها عيباً في زيها وحضارتها ورشاقها كأنه شرف لها أن تكون ممنوكة لنا وأما الألفاظ الأجنبية فإنها ترى منا حسن المعاملة كأن بها فخراً فلا نسأل - وحاشاها - من أين أنت أو ذهبت ونرى البحث عن زيها وحضارتها ورشاقها منافياً لعنوا شأنها وإن لها عندنا لولفى. وكيف لا نحن علينا وهي في الأغلب برهان إملاننا؟ إذا كانت نظارة المعارف لا تفكر في اتخاذ تدبير ينجع أو أنها لا تقدر أن تفكر أو أنها تفكر وليس في وسعها أن تطبق ما تريد فقد وفي الواجب حقه أركان الصحافة التركية مثل شهبال وغيرها إذا فتحوا لهذا البحث صحائفهم.

أيستحق المواخذة من يضع المشكلات أمام كلمات تدخل إلينا من جديد؟ إذا كنا كذلك فهذا أثر صلاح يحق لنا أن نسرب له لأننا لم نتباعد ولا قليلاً في التصرفات الإنسانية عن هذا الإهمال مرض اجتماعي اشتهرنا به في جميع شؤوننا وكانت نتيجته أن امتلاً لساننا بالكلمات الأجنبية وتغير معنى كثير من الكلمات التي أخذناها من العربية والفارسية منعين فياضين لإثراء لساننا.

فمن طنبنا قبل التصاق الكلمات الأجنبية بلساننا مقابلها وأخذنا الكلمات العربية والفارسية بمعانيها الصحيحة لخدمنا لساننا خدمة يتدرج بها إلى الكسار وإني لأمل أن يشترك جميع أرباب القلم بكل ارتياح بتلك المسابقة التي وضعتموها رجاء اختراع كلمات تقابل تلك الكلمات الأجنبية. وإن مداولة الأفكار في ساحة المطبوعات ليكون

سداً منيعاً أمام تلك المخاطرة أعني استيلاء الكلمات الأجنبية. إن من يقول أن لا إذن لنا في اختراع كلمة تركية أو فارسية أو عربية لم يقل شيئاً ولكن من لا يرى اتباع قيد لساني عند وضع اصطلاح جديد يضمه لمئة اللغات العثمانية فهو أيضاً عندي على غير شيء. إذا كانت الكلمة المخترعة تركية فيها وإلا فإن كانت عربية فإني أحب أن أقول: أنه ينبغي أن تكون مما يحويه اللسان العربي وأن تكون مما يجوز استعمالها قواعد ذلك اللسان.

إن المناسبة المعنوية بين ونشب ظاهرة جداً ولكن إذا كانت العرب لم تتعمل صفة مشبهة من مادة **ن** فأنك تصيب، على ما أظن، من لا يهش إليها ولو كانت من السلاسة بمكان ويقول: لنا الحق بإيجاد كلمة جديدة تدل على فكر جديد ومعنى جديد وضعها إلى مجموعة اللغات العثمانية ولكن لا حق لنا باختراع كلمة عربية في لساننا التركي.

لابد أن نشير إلى كلمة نشية الجديدة عندما ندخلها إلى لغتنا بأنها عربية ولكن العرب لا يقبلونها بين كناقم العربية بدعوى أن نشية من مادة نشب غير مستعملة عند العرب. أفلا يكون هذا من الغرائب؟!

نعم قد تغير معنى بعض كلمات عربية في كلماتنا مثل كلمة تحسس من مادة حس فإن معناها في العربية طلب الشيء والبحث عنه فهل نقصد بها هذا المعنى بعينه. إذا قلنا تحسّسات وطبروري؟ لا. وكذلك بعض المصادر الثلاثية فقد جرى على لساننا مزيدها خلافاً للعرب ومنها تسرير فإنه وإن يكن موجوداً في العربية إلا أنه بمعنى بنع من ماء النهر أو الحوض سرقة الرجل. فهل نستخدمه نحن بهذا المعنى؟ قال أرباب القلم من الأتراك في أنفسهم يشق من الفرح تفريح فلا يشق من الشرور تسرير فعلموها

وزادوها كنية مغنونة لا تقبلها العرب بالطبع بين الكينات العربية. غنى أن هذه الأحوال لا تكون لنا سداً يساعدنا أن لا نتبع قيدا في إحداث كينات جديدة لأن الباطل لا يقاس عليه. ولنا احتياج لتعلم العربية فينبغي أن تنفعنا في العربية تلك الكينات المستعينة في التركية ومن الغرائب بل من المؤلمات أن لا نقدر أن نستعمل في العربية كنية عربية نستعينها في التركية أو أن نضطر إلى استعمالها بغير معناها الذي نعنده. فعلنا ذلك ولكن ينبغي أن لا نفعنها بعد هذا وأن لا نزيد في سقطات لساننا. رأيت في إحدى جرائدنا التركية قبل سبع أو ثمان سنوات أن في مصر وجدوا مقابل كارت دوويزيت تركيب بطاقة الزيارة أما البطاقة فهي موصلة بوصلة توضع بين الأمتعة يكتب فيها مقدار تلك الأمتعة وقيمتها فاقبسوا تلك الكينة وأحدثوا هذا التركيب وهو جميل يقابل الإفرنسي كل المقابلة. وأنا أظن أن أمثال محور شهيل من أرباب القلم ممن لهم قدرة كافية في اللسان إذا تعنقوا في أبحاثهم وجدوا أوفق مقابل للكينات الأجنبية التي تدل على معان وأفكار جديدة.

هذا ما أردت تعريده وأنا أرى تلك المسابقة الثالثة وما يتنوها من أمثالها فرصة لكثير سواد الكينات العربية فاعتموها وعندكم من عنك اللغة بنحية فلا يعسر عليه إذا سئل أن يجيب من غير تردد بما يوافق المطوب. وعلى الجرائد العربية واخالات نقل هذه المسابقات عينا أولا وترجمة الكينات الأجنبية بجملة - لا بكينة - تؤدي معناها حق الأداء ثانياً حتى إذا كان رجل يحسن اللغة العربية ولا يعرف الأجنبية فلا نحرم من عنده وينظر إلى المعنى الذي ذكرناه له بجملة أو جمل فيستخب له كينة توافقه فنقول له مثلاً ماذا تصي آلة من خشب أو حديد تسير على جدار وفيها أعواد يعنق عليها

التياب فلا أظنه إلا قتلاً لكم يمكن أن نسيها شجاراً. وأن نضع من نفسها مسابقات أخرى مثلها ثالثاً ومن كان منها ذات ثروة جعلت لتجيد جائزة على أي أرى أكبر جائزة لنعالم أن يخدم لغته وأن يقال أنه أبو عذرة هذه الكسنة. وكيف يجوز لنا أن نبقى على الحياد وأن ننظر من بعيد وغيرنا يتصرف في لغتنا كيف يشاء ولست أريد بذلك أن تمنعهم عن الاقتباس والتصرف لكني أريد أن يعلم أخواننا العرب أن من الواجب عليهم أن يشتركوا في تلك المباحث اللغوية ولو بنعتهم إن لم يعرفوا التركية ويناقدوهم حتى يتبين الحق ففيد ونستفيد. نفيد أخواننا الأتراك إذ نعطيهم كسنة خيالية عن الغنط الصربي في مؤديه لنعني المراد هم في حاجة إليها ونستفيد إذ نحن أيضاً أحوج منهم إلى أمثال تلك الكسنت.

الألقاب العلمية

ليس في الأيدي من مستند يركن إليه في تاريخ حدوث الألقاب العلمية في المئة الإسلامية والظاهر أنها حدثت في النصف الأخير من عهد بني العباس وشاعت وتأصنت زمن منوك الطوائف ثم على عهد الدولتين الجركسية والعثمانية في هذه الديار أيام أصبح العلم عبارة عن رسوم والعناء هم الذين يقرهم الملوك والحكام ولو كانوا أجهل من قاضي جبل بل أصبح أمر الألقاب أقرب إلى الهول منه إلى الجدل فصارت جهنة أعظم العناء الخققين تطلق على كل صعلوك نال منصبه في القضاء أو الإفتاء أو التدريس بالشفاعة أو القرابة أو الإرث لأن العلم في الثلاثة القرون الأخيرة أصبح يورث كما يورث الماعون والحرفي والعقار والمزرعة.

نعم غدت الألقاب العلمية التي لم تطلق على أبي حامد الغزالي وأبي عمر والجاحظ وأبي الوليد وابن رشد وأبي النصر الفارابي إلا بشق الأنفس تطلق على ما يحتاجون أن

يرجعوا إلى الكتاب بل عني عامة ليس لهم من أدوات العلم إلا أنهم اهتموا بالبيان
ولبسوا الحجة عني الزبي المتعارف لهم.

وإن ألفاظ العلم والعلامة والإمام والرباني والخبر التي لم تطلق عني أكثر حملة الشريعة
والعلم أيام نصرة الدين أصبحت تطلق عني الجهاد لعهدنا فبعد أن كانت هذه
الألفاظ تجعل لأفراد في الأمة امتازوا ميزة ظاهرة بعقولهم وعلومهم وقد تستعرض
القطر بل الأقطار بل العصر والأعصار ولا تجد واحداً استحق هذه الألقاب صرت إذا
دخلت في عهدنا إلى مدينة صغير كطرابنس الشام تظن نفسك وجميع من لهم شيء من
الذكر قليل أو تولوا منصباً ولو حقيراً في خدمة الحكومة يعطون لقب العالم الفاضل
والعلامة الفاضل والإمام احدث بدون نكير.

كان يقال لجير بن زهير الحضرمي عالم أهل الشام ولنخيل بن أحمد علامة البصرة
ولمالك بن أنس إمام دار الهجرة ولعبد الله بن العباس رباني هذه الأمة أما اليوم فالألفاظ
عالم وعلامة وإمام تطلق عني المستحقين والمنطعين الذين لم يضعوا الأمة بشيء فقد كان
يلقب بالعلامة الأول قطب الدين الشيرازي كنا يطلق لقب العلامة الثاني عني سعد
الدين الفتازي عني نحو ما أطلق عني أرسطو لقب المعلم الأول والفارابي لقب المعلم
الثاني.

تشدد القوم في إطلاق ألقاب الترخيم حتى عني العناء حيانة لألقابهم من الابتذال
فأبنا العمام في حاشيته عني الجامي لا يوافق الجامي بإطلاقه عني ابن الحاجب لفظ
العلامة المشتهر في المشارق والمغرب فقال أن في وصف ابن الحاجب بالعلامة نظراً لأن
هذا اللفظ إنما يناسب فيما بين العناء من جمع جميع أقسام العلوم كنا هو حقه من
العلوم العقلية والنقلية وليس ابن الحاجب إلا من العناء في العلوم النقلية. ولذا خص

من بين العناء قطب المنة والدين الشيرازي بالعلامة حيث سبق العناء كتبهم في جميع أقسام العلوم.

هكذا كان أدب سلفنا أما اليوم فقد استرسل عباد المظاهر في هذا الشأن فسروا إلى تلك الألقاب الشريفة التي لم يجوزوا إطلاقها على مثل ابن الحاجب الإمام الخلق في فنه وبنغت الحال بعضهم أن صاروا يكتبونها بأيديهم عن أنفسهم كأن العلامة أو العالمية والإمامية لا تثبت بالأذهان إلا بمثل هذا العمل.

وعندنا أن الأحرى بمن تدور معارفه على الفقه وحده أن يسمى فقيهاً إن كان ممن برزوا حقيقة في أصوله وفروعه ومن اقتصر على الأصول وحده أن يسمى أصولياً ومن غلب عليه علم الحديث أن يقال عند حديثاً وإلا كلمة عالم لا تقال إلا لمن يعلم بما يعلم كما قال بعضهم وإن شئت فقل لمن يظهر فيه أثره ويمتاز بأجزاء نفسه أي امتزاج قال ابن جني: لما كان العلم قد يجوز الوصف به بعد المزاولة له وطول الملازمة صار كأنه غريزة ولم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً.

جرت على هذه القاعدة الأمم الراقية قديماً وأمم المدنية الحديثة لعهدنا فلم يطنق على سقراط أو أفلاطون أو أرسطو الفلاسفة ألقاب العناء في بلاد اليونان إلا بعد أن قضى كل منهم سنين في التعلم وسنين في التعليم وهكذا رأينا الأمم الحديثة لم تطنق على نيوتن وهكسلي وكوت وكنت وكيني اسم عالم إلا بعد أن درسوا الدروس النظامية كلها وبرزوا على رجال عصرهم بفنون مخصوصة أبرزوا فيها آثار علمهم وأثروا في محيطهم.

ومن عجب الأخلاق أن من يتسبون لشيء من علوم الدين في عهدنا يعز عليهم إلا أن تبقى ألقاب العالم والخلق والعلامة محصورة بأهل طبقتهم كأن من يعلم الهندسة أو

الطب أو الحقوق أو الصحافة أو السياسة لا يستحق أن بعد من العالمين ولو أيدت عامه أمثلة كثيرة يريدون أن تبقى هذه الألفاظ لهم وكذلك بعض المشتغلين بهذه العلوم الدينية يعز عليهم أن يطلقوا الألقاب العنيفة على من لا يعنون علومهم في حين رأينا صاحب إرشاد القاصد وصاحب كشف الظنون عدا العلوم كلها دينية ودينية وسميها كرهاً علوماً حتى السحر والطنسيات والشعبذة فذكر الأول من أنواعها مثله والنوع الثاني مثله وخمسين نوعاً.

وغريب كيف أخرج بعضهم في القديم إسحق بن إبراهيم الموصلي من سنن الفقهاء وكان أخرى أن يعد بينهم لأنه ينحدر الأنعام ويخترع ضروب الغناء ويشغل بالآلات الطرب مع أنه ليس دون غناء عصره بعلومهم ولكن غلب عليه الغناء فعدوه في الندماء كما غلب الشعر على بعضهم فعدوه في الشعراء أمثال أبي نواس وما هو في الحقيقة إلا من كبار غناء العربية.

وإننا إذا استقرينا التاريخ على اختلاف العصور نجد أن المنصفين من المؤرخين يذكرون العالمين بغير العلوم الدينية كما يذكرون غناء الدين لأهم كنهم أعضاء نافعون في اجتماع فقد كان خالد بن يزيد الأموي من أهل القرن الأول عالم قريش بالكيمياء والطب بصيراً بهذين العنيتين وكان أبو الفضل الحارثي من أهل القرن الخامس عالماً بالهندسة والفلك والحساب والتقسيمات والهيئة ونقش الرخام وضرب الخيط والطب ومحمد القيسراني من أهل القرن الخامس أيضاً عالماً بالمساحة والميقات والفلك ورضوان الخرسماني من أئمة أيضاً عالماً بالرياضيات وأبو اخذ ابن أبي الحكم من أهل القرن السادس عالماً بالطب والهندسة والنجوم والموسيقى والعدد والغناء والإيقاع والزمر وسائر الآلات عمل أرغناً وبائع في إتقانه وكان أبو صلاح من أهل السادس عالماً

بالبط والفلسفة وابن المؤيد العرضي ورفيع الدين الجيني وعز الدين الأربلي من أهل السابغ علماء بالفلسفة والرياضيات.

وهكذا لو استقصينا كتب التراجم لعثرنا من أسماء المشتغلين بغير العلوم الدينية على منسنة طويلة وكتبهم أطلق عليهم اسم العامة واخفق والإمام والعلامة على رغم أنوف المكابرين وذكرهم الأعصار بآثارهم أكثر مما جعلوا مناصب الدين وألقابه سبباً إلى الدنيا ونيل الخطوة من العامة والزلفى من السلاطين والأمراء.

وقد رأينا بعض المشتغلين بعلوم الشريعة لعهدنا يتخلصون من إطلاق لفظ عام وعلامة على من لم يترى بزيهم الخاص بأن يطلقوا عليه اسم الكاتب على أن لفظة كاتب التي يحقرونها قل في المحدثين من يستحقها قال ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقال فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتر إليه من الخواص في كل فن اهـ.

وهذا التحكم البارد في الخط ممن أخصوا في بعض الفنون التي يجهلها أكثر المتعلمين ولا يعدونها علماً في نظرهم يخرج كثير من الأئمة في عداد العلماء ممن لم تكن الكتابة إلا من جملة ما يعملون أمثال الجاحظ فإنه بحسب عرفهم كاتب فقط لأنه مجيد في الإنشاء للغاية وكذلك القاضي الفاضل ابن خلدون وابن فضل الله وأبو الفدا وغيرهم من مشاهير العلماء الذين كانوا أئمة في الإنشاء هذا لأن أولئك الأعلام لم يؤلفوا أم لم يريدوا أن يؤلفوا في الفقه والأصول والكلام والحديث على حين ورد في الكتاب العزيز يعينه علماء بني إسرائيل فأطلق الله عليهم لفظ علماء وجاء فيه والذين أوتوا العلم درجات قال الراغب أن هذا تنبيه منه تعالى على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها.

ولقد شاهدنا ما يصح من تحكم بعض أرباب الصحف السيارة في الألقاب العنيفة حتى آل الأمر ببعض الفضلاء أن يستكفوا في ذكر أسمائهم بين أناس لا يبحقون غيرهم بحال لأن محور كل صحيفة يعطي من الألقاب لمن يستحي العاقل من إطلاقه على أفضل أهل العصر ويمنع ذلك عن المستحق يريد بذلك إسقاطه حتى قال بعضهم من العلامة أن لا تكون للسوء علامة فيما دامت لفظة علامة تطلق على المفقدين من الطيبة فأجدر بمن يستحقون هذه اللفظة أن يزهّدوا فيها وهكذا لفظ الأستاذ والمعلم والفاضل وهذه اللفظة اليوم تطلق على تسعة أعشار من يقرأون ويكتبون.

وبعد فإن سلسلة الارتقاء وسلسلة الانحطاط نمط واحد يتبع بعضها بعضاً في كل أمة والتعالي في الألقاب من جهة تعلق الأمة بل من يطلق عليهم الخاصة منها القشور دون النبأ. وما أجدر أرباب الصحف واخبات أن يتخلوا عن هذه الألقاب التي لا ميزان لها ولا مقياس وأن يذكروا الأسماء مجردة كما هو اصطلاح الأمم الراقية كالإنكليز والأميركان والفرنسيين والألمان بل كما كان اصطلاح أجدادنا العرب في صدر الإسلام والحدّيون بالوصف ثم أوصافهم عنهم من مثل التعليم زمنياً وتخرج طلبة راقين أو الإحادة في التأليف وغير ذلك من سمات الفضل والعلم قال المقدسي إن مراتب السادات مثل جنيل وفاضل رسم الرسائل لا رسم التصانيف. والجرائد واخبات كالكتب لا تخرج عن حد التأليف في صورة أخرى ولذا وجب أن تعرى من ألفاظ التمجيد ولا سيما إطلاق الألقاب العنيفة على من تذكرهم لأن في ذلك تضليلاً للعقول واستهزاء بمقادير أهل الأقدار.

الخزانة التينورية

في مصر على انحلال محسوس في العزائم بعد سن طلب العلم همة عالية تشهدها لبعض الأفراد فيكفر العالم عن ذنب الخامل ويشفع العالم بجهل الجاهل فقد انقطعت الرغبات في المطالب العالية بعض الشيء وقل في مصر التواضع وإن عم التعليم أهل الطبقتين الوسطى والعليا في المدن والخواصر وكانت أكبر آفة على العنوم والمعارف هنا ما وقر في نفوس القوم من أن العلم يراد منه التوظيف والكسب لا لما فيه من الفوائد المعنوية الشريفة وقل أن رأينا رجلاً في مصر اشتغل بالعلم من حيث هو علم لا لمعلم عاجل يغنيه أو لظهور مہرج يفوز به ومن تلك الفئات الصالحة التي تترع لخدمة العلم والآداب من حيث منافعها المعنوية وأغراضها السامية أحمد بن تينور أحد سراق هذه العاصمة وعلمائها العامين عرفناه منذ اثني عشرة سنة يختلف إلى شيوخ والدب في القاهرة يذاكرهم ويأخذ عنهم ويجعل منزله مجعاً للعلمين والمتأدبين والطلالين لم تهمره النعمة ولم يطرده المال والجاه بل كان يصرف فضل نعمته في ترقية نفسه ومن استطاع إبلاغ النور إليهم وما كتبه في الصحف والجلالات حتى اليوم أدل دليل على ما هناك من أدب غص ونظر سديد فيما يعنيه من الأبحاث ولقد كنا ننحظ أن صديقنا من غلاة الكتب كما هو من الغلاة في اللغة والتاريخ والأدب ولكن ما كان يدور بخلدنا أن يجتمع مع الزمن خزانة كتب قل لشرقي أن جمع مثلها في هذا العصر إلا ما يقال عن خزانة كتب رضا باشا في الأستانة ولكن المزية التي في الخزانة التينورية أن صاحبها عارف معرفة كافية بما حوته من أسفار العلم وقد اقتناها بمعرفته وفضل نعمته من مال حلال مال الزراعة المبارك ولعل خزانة كتب شيخ الإسلام عارف حكمت بن التي

سبيلها على الناس في مدينة الرسول تشبه الخزانة السينورية كما تقرب منها بعدد الجندات.

تفضل تينور بك بإعارتنا كل ما طلبناه من مخطوطات خزانته ومطبوعاتهما في السنين الثلاث الأولى لهذه الجندة فتكفنا على بعض النوادر منها ولكن لم يكتب لنا أن نراها كلها إلا هذه المرة وقد دعانا والأستاذ الشيخ طاهر الجزائري إلى إحدى مزارعه في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا فاعتسنا هذه الفرصة لنصف هذه الخزانة التي ظلمنا أعجبنا وأعجب بما غلاة الكتب في المشرق والمغرب خصوصاً ونحن في صحابة أحد كبار شيوخ العنم العارفين بدرر الأسفار في ديار العرب وهو الذي تولى الترجيح في اختيار الأندر فالأندر وناهيك بما يرجحه الأستاذ.

أقام تينور بك ردهة كبيرة في أعلى قصره في قويسنا نقل إليها كتبه من القاهرة ليخلوا هناك بنفسه ويتوفر على المطالعة والمراجعة في ذلك الهواء الطلق البعيد عن الضار من جراثيم المدينة الحديثة ويخلص من تراحم الأنفاس وتضعب العوامل القاطعة في العواصم عن الطلب والتأمل ففرغ بكتبه وأدبه إلى أرض الدلتا أحصب بقاع هذا الوادي الخصيب بحبل أسفار العنم والأدب إلى ركائز الإبريز ورغام الذهب.

وبعد فقد رأينا عملاً خاصاً أو عاماً منسقاً تنسيق المكتبة السينورية فالمكتبة بالفهرس البديع الذي دونه لها جمعها فجعل كل عنم مع عنده وقرن كل شكل مثله ليسهل إحضار أي كتاب منها في دقيقة مع أن مجلداتها لا تنقص عن ثمانية آلاف مجلد منتقاة ومن خلق صاحبها أن لا يرضى بأندر كتبه عن المشتغلين والمستسخين على خلاف سنة بعض غلاة الكتب في مصر والشام ممن لا يسحون بالنظر إلى كتبهم ولا باستنساخها

والأخذ منها ولو كانوا ينظرون فيها آونة الفارغ لأن الخطب فيهم ولكنهم منعوها عن الناس فأمنت مظلومة في قضاظرهم ويا بش ما يعينون.

وهناك الآن النادر من مخطوطات هذه الخزنة التي نرجو لها زيادة النور غنى هذا النحو تنشر قانتها خدمة لأهل العلم والدب ممن أخذوا النفس بإحياء آثار العرب ولا سيما علماء المشرقيات في ديار العرب وكبار الطابعين في هذا المشرق العربي داعين لصاحبها النور بقدره أن يظل غنى مصاته وبذلك في اقتناء كل نفيس وعلى همته وصحته بالوفور والنساء.

التفسير

مختصر الانتصاف لابن هشام النحوي

تفسير ابن عطية الأول والثاني

زاد المسير لابن الجوزي (الثاني والثالث)

نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبناعي (الأول)

تفسير جزء عم للنو ماني

تعليق على أماكن من التبريل لابن أبي شريف

أحكام القرآن للنقرطي (الجزء الأول)

البرهان في توجيه متشابه القرآن للنكر ماني

الجزء الثالث من إعراب القرآن لابن النحاس كتب سنة ٦٤١.

إعراب مشكل القرآن لمكي كتب سنة ٤٩٠ ونيف.

مبهمات القرآن للتسهيلي (منه نسختان إحداهما في إجماع).

الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي.

مختصر العقد النظيم في كليات القرآن وغريبه لابن أبي المعالي الأنصاري.

الرعاية في تجويد القرآن لمكي.

النشر في القراءات العشر لابن الجردى.

مصطلح الحديث

الخلاصة في معرفة الحديث وأصوله لنظري (نسختان الثانية في مجموعة ١٧٢).

ألفية السيوطي (نسختان).

شرح ألفية العراقي للمصنف (وهو الشرح الصغير ولم يعثر على الكبير إلى الآن).

شرح بغية الطالب الحثيث للنسفي.

الحديث

مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم على الصحيحين.

جامع الأصول لابن الأثير.

مختصر جامع الأصول للنسفي.

فضائل القرآن وأدبه ومعانيه لأبي عبيدة القاسم ابن الإسلام.

شهاب الأخبار للنقضي وشرحان عليه.

حاشية النسفي على الشفا.

عمل الحديث لأبي حاتم الرازي (وهو من أهم كتب عمل الحديث).

العقائد.

المطالب العالية لنفجر الرازي.

شرح العبري على صواعق البضاوي.

التحبير في أسماء الله للنقشيري.

أخند الثاني من الإبادة لابن بطة وهو سبعة أجزاء.

الجزء الرابع من الجمع بين العقل والنقل لابن تيمية من النسخة الكبرى والذي طبع
مختصر.

عندة الأكياس في عقائد الزيدية لابن صلاح الشرفي.

رسالة إنقاذ البشر من القضاء والقدر للشريف المرتضى ضمن مجموعة ١٦٩ عقائد.

المعارف العقلية للفراي ضمن مجموعة ٢٥٢ عقائد.

الأصول

أصول لنفخر الرازي.

الجزء الأول من الأحكام للأمدى.

شرح ركن الدين علي مختصر ابن الحاجب.

شرح العبري علي منهاج البيضاوي.

الجزء الأول من نهاية الوصول للأرموي.

الفقه

الفتح الرباني للإمام المتوكل منك فاس. ٢٨٣.

٣٢٠ جزء من تقارير ابن رشد عن المدونة.

٧٩٧ القواعد الكبرى لنعز بن عبد السلام.

٢٨٨ القواعد لنور كشي.

٣٠٦ نظم مفردات الإمام ابن حنبل للنقدسي.

١٩٣ الفتح الرباني في مفردات ابن حنبل الشيباني لندمهورى.

٢٢٩ و ٢٣٣ نسختان من الإقصاح في اختلاف المذاهب الأربعة لأبي هبيرة.

أخلاق

١٨٥ مولة العقل عني الهوى لابن الجوزي.

الحكمة

٦٧ تعليقات الشيخ الرئيس ابن سينا.

النفعة

الغريين لنهروي.

التبیه علی ما وقع فی الغریین من الخطأ للسلامی.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

مشارك الأنوار للقاضي عياض وهو في غريب الحديث (نسختان).

الزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي للأزهري.

المغرب لمنطوري (ثلاث نسخ).

الغريب المصنف لأبي عبيد.

المرصع لابن الأثير (وقد طبع في أوروبا) في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات.

تبين المناسبات بين الأسماء والمسميات.

مختصر إصلاح المنطق الأصل لابن السكيت والاختصار لأبي القاسم الراغب والظن أنه لأبي الحسين الوزير المغربي.

تحرير الرواية لتقرير الكفاية وهو شرح كفاية المحفظ لابن الطيب الفارسي.

شرح ابن دريد عني منظومته في المندود والمقصود.

المرادف للأصمعي.

مثث قطرب (في كراسة وهو أول مؤلف في المثلاث).

المثنى تأليف محمد بن بدر الدين المنشي.

التكنة والذيل على درة الفواصر للجواليقي (نسختان).

الصرف

تصريف ابن مالك ويليده شرحه لابن إياز النحوي.

متن عقود الزواهر للنقوشجي في الوضع والصرف والاشتقاق.

النحو وسر العربية

الخصائص لابن جني.

حواشي ابن هشام على الألفية.

رسالة في معاني الحروف للرمازي.

المسائل الحنبية لأبي علي الفارسي.

البلاغة

قانون البلاغة لأبي طاهر محمد بن جبلة البغدادي.

الجامع الكبير لعز الدين ابن الأثير.

البيان لابن الزمكاني وهو مختصر دلانل الإعجاز.

الشعر

شرح الأعلم الشنترلي على الدواوين الستة (النابعة وعنترة وطرفة بن العبد وزهير

وعنقمة الفحل وامرؤ القيس وقد طبع منه شرح طرفة).

ديوان قيس بن الخطيم.

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس.

شرح ديوان جرير.

شرح ديوان ذي الرمة.

شرح المعانيق للنحاس.

٢٧٠ شرح معنقة عمرو بن كثنوم للنحاس.

شرح لامية العرب لابن الأجدك والعكبري (ولشرح العكبري نسخة أخرى).

المبهيج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن الجني.

معاني الشعر للأشنداني.

حماسة الخالدين.

الحماسة البصرية لعلي بن فرج البصري.

شرح ديوان أبي تمام لنتيريزي وقطعة صالحة من شرح الصولي.

ديوان ابن الرومي في ثلاث مجلدات.

عبث الوليد لأبي العلاء المعري.

نسخة من ديوان أبي فراس بها زيادة على المطبوع.

رد على رد وهو رد لابن السيد البطنيوسي على ما رد به عليه أبو بكر بن العربي في

شرحده شعر أبي العلاء.

منتخب نزهة الألباء فيما يروى عن الأدباء لنشيخ عبد العزيز بن جماعة والأصل له

أيضاً (بخط مؤلفه).

شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون بها زيادات كثيرة من غير المصنف ثمرة

١٩ مختارات رسائل الجاحظ.

جنوة المذاكرة وخلوة الخاضرة لنصرح الصفدي.

المصنوع به عني غير أهنة لغز الدين الرنجاوي.

رسالة في الحنين إلى الأوطان لنجاحظ (ضمن مجموعة رقم ٣٥١).

التاريخ

مختصر تاريخ الإسلام للذهبي.

طبقات الحفاظ للسيوطي لخصها من طبقات الذهبي وذيل عليها.

الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء أعالي الصعيد للأدقوي.

الوافي لأوفيات لنصفدي (ستة أجزاء منه).

ذيل النادر الكامنة لمؤلفه ابن حجر ومخطئه.

أعتاب الكتاب لابن الأثير.

الكوكب الثاقب لعبد القادر السنوي الأندلسي.

الطب

شرح أرجوزة ابن سينا لابن رشد.

أصول الطب لعني بن رضوان.

مختصر مفردات ابن البيطار لابن منظور صاحب لسان العرب.

غية الطبيب حيث لا يوجد طبيب لأبي الحسن القرشي.

الفنك

منتهى الإدراك في تقاسيم الأفلاك بمحمد بن أحمد الحسيني الخرقفي المتوفي سنة ٥٣٣.

كتاب الإمام يوسف بن عمر بن رسول مذك الين في صناعة الإصطلاب وعنديا عليه
إجازات من علماء الهيئة.

فنون متنوعة

كتاب المسائل والأجوبة لابن السيد البطيوسي.

القانون في علم البرزة وهي تربية الصقور لنصد وأصناف معالجتها.

الأقوال الشافية والفصول الوافية للنكت عي بن داود الغساني الشهير بابن رسول في
الحيل وما يتعلق بها.

الصعقة الفضية في الرد غني منكري العربية لنطوفي.

اخراج

١٢ رسالة في أصول المنزات التي في الأسماء والأفعال والحروف لابن خالويه وقبها
وبعدا رسالة في المنزات أيضا.

٣٩ نكت غني مقامات الحريري مما علق من مؤلفها.

عرض الإمام بن المعطي.

بديع الإمام ابن المعطي.

نسب عدنان وقحطان لنسرد.

٥٠ ما يذكر ويؤث من الإنسان والنبات لسنينان بن محمد النحوي.

أسماء الحيل وفرسانها لابن الأعرابي.

نسب الحيل في الجاهلية والإسلام لابن الكني.

كتاب الأمثال لأبي بكرمة الضبي.

٨٠ عجالة المبتدي في علم النسب لنحازمي.

٨٩ بغية الموانس من بهجة المجالس لأبي عثمان بن ليون.

لمح السحر من روح الشعر له أيضاً اختصره من روح الشعر لابن الجلال.

١٠٥ أسماء الأسد وكناه وأسماء الذب وكناه لابن الصاغاني.

١٣٩ قصيدة ابن الدريهم في حل المترجم.

١٥٢ المقالات الفاخرة في النصيحة الباهرة للنزحشري.

ذيل التفسير

الدر النثير شرح التيسير للنمناقي.

التسهيل في علوم التزويل لابن جزري.

مشكلات الكتاب للشاطبي (لأبي عبد الله محمد الأندلسي عرف بالشاطبي).

الإشارات الإلهية للطوفي.

بديع القرآن لابن أبي إصبع.

الحديث

المغني عن الحفظ لعمر بن بدر الدين الموصلي (أورده صاحب القاموس في سفر

السعادة).

التشديد لما في الموطأ في المعاني والأماني لابن عبد البر (الجزء الخامس).

الأصول

البحر المحيط للنزر كشي في ثلاث مجلدات.

الفرائض.

كفاية الفارض المرتاض في التنبه على ما أغفله جمهور الفرائض لابن صفوان.

الأحوال

الأدب الشرقي والمصالح المرمية لابن مفلح.

اللغة

التوقيف على مهنيات التعريف لسننوي.

غريب الحديث لأبي عبيد (مخروم الأول والآخر).

أبنية الأفعال لابن القطاع.

شرح ابن جني المسمى بالمنصف على تصريف المازني.

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.

الشعر

شرح الشريف الغرناطي على مقصورة حازم.

الأدب

التشبيهات المشرقية لابن عرون الكاتب.

الرياضيات

تكميل التذكرة لعمر الفارسي ألفه لئسلك أبي القدا.

الفنون الموعة

رسالة في الفتوة لإدريس ابن بيدكين التركماني.

هذه هي الأسفار التي تشتد الحاجة إلى طبعها وإحيائها في الدرجة الأولى وإليك أسماء ما

يطلع وينشر بعدها:

التفسير

١٥٤ تفسير أبي النيث السرقدي.

الجزء الثالث من الوسيط والوجيز.

- تقريب التفسير للغزالي.
- تفسير علم الدين السخاوي.
- نواهد الإيكار للنسيوطي
- حواشي البضاوي
- تفسير سورة الرحمن للنزيدي.
- أحكام البسطة للفخر الرازي.
- تفسير إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض الآية وكتاب آخر.
- ١٢٣ كتاب أسباب القول.
- النامخ والمنسوخ لابن سلامة ضمن ثلاث رسائل.
- رسالة في إثبات واو الثمانية.
- كتاب الوقف والابتداء للغزالي.
- العنوان في القراءات السبع لابن خلف.
- شروح الشاطبية.
- شروح مورد الظمان في الرسم.
- إرشاد المبتدي للقلانسي في مجموعة ١٨٦ ومعها أرباع القرآن.
- مصطلح الحديث
- حاشية ملا عني قاري على نزهة النظر نسختان.
- شرح جاد المولى على البيهقونية.
- حديث
- التنقيح للزركشي والتوشيح للنسيوطي.

مشروح مشارق الأنوار.

الدرر الزاهرة للنسائي.

أمانى الباغندي.

مختصر درر البحار للسيوطي.

زيادات الجامع الصغير للنوائي.

شرح الأربعين النووية (أنظر مجاميع الحديث).

٢٥٧ رسالة في الأحاديث المشبهة.

١٧٥ تخريج الأحاديث والأذكار النووية لابن حجر.

٢٢٩ أسباب الحديث لابن حجر.

العقائد

٢٠٣ قصد السبيل للكوراني.

١٩١ تحقيق الأئمة للنوكتاني.

٥٩ الأمانة الكبرى للذهبي.

٦٠ طريقة الاستعاذة في الإمامة لأبي هاشم.

١٧٦ روضة الإفهام أو التاريخ عن سيرة ابن عبد الوهاب الإحساني.

١٧٨ كتاب في الفرق الإسلامية والكفرة لفخر الرازي.

١٧٧ رسالة في الرد على البكتاشية.

أصول

٨٦ لباب الأصول للمسيد الجرجاني.

الفقه

- ٢٣٦ الكلمات الشريفة في تزويد أبي الحنفية لنوح أفندي ابن مصطفى.
- ١٥٩ نزهة العين في زكاة المعدنين للعلامة حسن الجبري.
- نسختان من شرح الصدر الشهيد على الجامع الصغير.
- ٣٢١ حاشية أبي السعود على الأشباه والنظائر (في جزأين غير كاملة التأليف).
- ٢٨٥ تعارض البيتين للنخفاف.
- ٢٨١ تحرير المقال في أحكام بيت المال لندوشري.
- ٨٨ الحدود والأحكام.
- ٣٠٧ خبايا الزوايا للزرركشي.
- ٣١٠ البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان لابن العباد.
- ٢٢٠ تيسير الوقوف للتناوي.
- ٩١٢ توقيف الحكم في الأنكحة لابن العباد.
- ٣٥٩ جزء من مسائل الخلاف للنبوسي.
- ١٦٣ تقويم النظر بمداول في الخلاف.
- ٣١٢ كشف المروط عن محاسن الشروط.
- ٣٦٦ الكشف التام عن إرث ذوي الأرحام للنحني الشافعي.
- الصوف
- ٧٨ القول اخنود لسيط الشر بلاي.
- ١١٢ تأييد الحقيقة العلية للنسيوطي.
- ٤٠ معد محض النصيحة للغزالي.
- ٩٥ مجموعة لسيدي أحمد زروق.

الأخلاق

- ١٨٢ وصية الإمام الشافعي وهدايتها وصية ابن خفيف.
- ١٨٣ الآداب المنوكة لآبي نصر الغزالي.
- ١١٧ عيون الأخبار للنحوي.
- ١ الذريعة لذراعب نسخة يغلب عليها الصحة.
- ١٦٧ محاسن الإسلام.
- ١٩٩ رسالة للعضد في الأخلاق.
- ٩٤ ملح الفكر لبسط الغزالي.
- ١٠٩ نصيحة الحكام.
- أربع رسائل في الأخلاق.
- ١٤١ غرائب الأول للغزالي.
- ١١٢ نهاية الرغبة في الحسنة.
- ١٩٥ أحكام الاحتساب ألفه سنة ١٢٦٧.
- ١٤٩ فيض الحرم.
- الحكمة
- ١٩٤ فيض الحرم.
- رسالة المعاد لابن سينا.
- شروح عينية ابن سينا.
- ٨٣ الاستبصار فيما تدركه الإبصار للقرافي (في علم المناظر).
- ٥٣ ممنوعة في الحكمة.

٥٥ مجموعة أخرى.

٨٦ مجموعة أخرى.

المنطق

٤٤ الآيات البينات.

٧٧ تعريب الرسالة الفارسية للسيد لولده.

١٧ مجموعة.

آداب البحث

١١ شيخ الإسلام عني السمرقندي.

١٣ مجموعة في آداب البحث.

النفقة

٦ سفر السعادة للنسخاوي

٣٢ الوجوه والنظائر.

٣٥ تحفة الأريب في غريب القرآن لأبي حيان.

٥٥ دستور النفقة.

٥٦ تاج المصادر لأبي جعفر محمد البيهقي.

نسخ من مقلمة الأدب.

٧٨ نظم الفصح لابن جابر.

٨٥ سر الصناعة لابن جني.

٨٦ المعجم لأبي هلال العسكري.

١١٦ كتاب التذكير والتأنيث لبي حاتم السجستاني.

- ١١٧ مختصر في المؤنث والمذكر .
- ١١٨ عقد الجوهرة في المؤنث والمذكر .
- ١٦٠ الألفاظ المعربة للنسوطي .
- ١٦٣ المختضب .
- ١٦٤ بحر العوام .
- ١٧٩ مجموعة بما الأحاجي النحوية لنز محشري .
- ١٨٤ مجموعة في النعة .
- ١٨٥ مجموعة في النعة .
- الصرف
- ٣٠ المارونية وعليها شرحان .
- ٣٢ إتحاف الرفاق في الاشتقاق .
- النحو وسر العربية
- ١٩٠ الخصائص للقرافي .
- ١٨٤ الكواكب الدرية في استخراج الفروع من القواعد النحوية للأسنوي .
- ١٤٥ فرحة الأديب لأبي محمد الأعراي .
- ١٧٣ شرح ابن بادشاه على مقدمته .
- ١٥٧ اختصار المفصل .
- ١٢٩ الباب للعكبري .
- ١٦٧ شرح ألفية ابن معطي المشريشي .
- ١٥٥ المقدمات لابن إياز .

٢٧٣ شرح شواهد التحفة الوردية لمنغني.

حاشية الدماميني على المغني.

٦٢ شرح الإرشاد.

١٧٢ النكت لنسيوطي.

دصف المباني في حروف المعاني.

إعراب الكائنات الغريبة.

إعراب بعض مشكلات في الحديث والشعر.

٢٧١ مجموعة في النحو.

ألفية ابن معطي.

٢٧٢ مجموعة بما حاشية المكي على التوضيح.

البلاغة

نصرة النثر.

زهر الربيع للتوحي.

١٠٠ رشف النبه من ثغر التشبيه.

شرح بديعية صفى الدين الحنفي للجزائري.

٨٣ الدر الثمين في محاسن التصني.

٧١ الأحاجي والألغاز للخطري.

شروح عروض ابن الحاجب للقيومي.

الشعر

٣١٧ ديوان جيران العود

الوزير ابن الزيات.

السري الرفا.

ابن نباتة السعدي.

ابن حيومن.

إبراهيم الغزي.

الأمير صلاح الدين الكامنّي وبه خروزم.

محي الدين ابن عبد الطاهر.

ديوان الباعونية.

٢٩٨ وسائل السائل.

٣٢٢ شرح القصيدة الحميرية لنشوان.

شرح المقرية لنسندوبي.

نسخ من شرح بانة سعاد للتبريزي.

شرح القشوطاسية شمن غمرة ٤١٢.

قصيدة ابن الدريهم في المديح النبوي.

شرح لامية أبي العلاء لتاج الدين في مجموعة غمرة ٣٤٢.

الأدب

٣١ رسالة الحصكفي.

جمع الجواهر لنحصري.

٣٠٠ الغرير الخني.

٣٠٢ منشور الحكم ناقص الآخر.

٢٩٠ سوابغ النوايغ شرح الكلم النوايغ.

التاريخ

الإعلان بالتويخ.

٦٤٨ تاريخ الأفغان والعجم.

المدينة للنطري.

تحقيق النصرة.

شرح البسامة في تاريخ اليمن.

٧٢٤ تاريخ الكبسي.

نسختان من كوكب الروضة.

الوفاء والمختار كلاهما في السيرة النبوية.

نور العيون لابن سيد الناس.

تزييد المصطفى المختار عن ما لم يثبت من الآثار.

الجزء التاسع عشر من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

الكاشف في رجال الصحاح الستة.

تقريب التهذيب لابن حجر وبخط.

كتاب الألقاب لابن حجر.

٥٤ طبقات الحنفية للنسبي.

طبقات الشافعية للأسدي.

طبقات الحنابلة للعيني.

الأول من تاريخ بغداد.

الجنسوعة التاجية.

شرح فلاند العقيان لابن ذاكور.

مختصر فلاند العقيان لابن فضل الله العمري.

الطب

أغذية المرضى للنسرقندي.

التصريف لمن عجز عن التأليف لنزهراوي خلف.

الصناعة

عدة الكتاب في صفة الأقلام والمداد.

فنون متنوعة

الموارد الخافائية.

مفتاح السعادة.

مدينة العنوم.

الأحكام المنوكية لابن متكلي.

الجامع

٢٥ بها أرجوزة في فصول السنة لابن سينا.

٣٢ بها أصول وخوابط للنووي.

٣٦ بها رسالة في الأحكام النحوية ذيل رسالة ابن هشام.

٣٨ رسالة الملائكة للنعمري.

٥٨٧ نصاب الاحتساب للشيخ عمر الشامي.

٥٨ موضوعات الصاغاني.

٦٢ القانون في حكم العام والمتعمم والعلم لنيوسي.

٦٩ رسالة لابن كمال باشا في إعراب كلمات دائرة على السنة.

مجاميع

٨٩ به الثغر البسام في قضاة الشام.

١٠٠ ومعد البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي.

٨٠ بها عدة رسائل منها النساء المتزوجات من قریش.

٨٧ نسخة أخرى من نصاب الاحساب.

٨٩ القصيدة النغمية في المسائل النحوية لأبي سعيد الأندلسي ومعها شرحها وملحق

بألغاز الرمحشري وابن هشام.

٩٢ الفتح الرباني في الرد على البنياني للندمايني.

١٠٥ الزهر البانع في قول العامل والصانع.

١٠٦ شرح الربيعين النووية لابن دقيق العيد.

١١٤ لسان العرب في علوم الأدب لابن شعبان.

١١٥ مقدمة الجزولي في النحو.

١٢٤ رسالة الاشتقاق.

١٢٥ حدائق الحقائق لخمد بن أبي الرازي.

١٢٧ الدروس في العروض لابن الدهان.

١٣٣ رسالة في ما يجب على السلطان ولده.

١٣٩ كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء.

كتاب المغتالين من الأشراف.

- ١٤٤ قمر التمام في شرح آداب الغم والإفهام.
- ١٥٩ رسالة في أسماء الرسوم التي على الآلة ذات الصفائح.
- ١٦١ شرح الربيعين النووية لأربعة من العنساء التاودي وابن شقرون وبيس وابن كيران شرح كل واحد عشرة أحاديث.
- ١٦٢ الغار ابن فرحون.
- ١٧١ رسالة في قصائده عنيد الصلاة والسلام وبها تحذير الخواص من أكاذيب القصاص وبها رسالة للشيخ عيسى العروضي وجبل المقطم.
- ١٧٢ رسالة الصاعاني في موضوعات شهاب الأخبار يليها رد عليها اخافط العراقي.
- ١٧٥ رسالة في آداب حملة العنم لنحافظ النحي.
- ١٨٦ رسالة اخامسي في التصوف.
- ذيل التفسير
- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي.
- شرح ملا علي قاري رانية الشاطبي في الرسم.
- البرهان في علوم القرآن لنزركشي.
- الفتوحات الربانية للمرجاني.
- مصطلح الحديث
- تدريب الراوي للنسبوتي وبها تقاريرات وزوائد.
- الحديث
- عوالي الإمام مالك.
- الأصول

تشيف السناع لنقوصي.

التصوف

حاشية الخوافي على عوارف المعارف.

الحكمة

الإبصار والبصر لأبي الحسن العاملي.

النحو

الحاشية الهندية لننداميني.

شعر

نزول الغيث لننداميني.

العجوس أو الشبث أو المالبوش أو الكاروب

1: مدخل البحث

ثلاثة أشياء ترقى البلاد أعظم الرقي وترفعها إلى أوج المدنية والعمران وهي العنم والصناعة والزراعة فإذا وجدنا في صقع قنت: هناك أيضاً الفلاح والنجار والحال أن المقيس كثيراً ما بحث عن العنوم وطرق أبوابها المحتنقة وتعرض أيضاً في بعض الأحيان لصنّاع، إلا أنه كثيراً ما أغفل الزراعة، معين ثروة البلاد ومبب رقيها. ولست أريد الآن ذكر منافع هذا الفرع من الحضارة فهذا مذكور على الألسنة ومستفيض الخبر بين الناس كنهم أجمعين. إنما أريد أن أبين هنا ضرورة آفة تفتك بالزراعة أعظم فتك وتتنف أتعاب الزراعين لعدة سنين في قليل من الزمن. أريد الكلام عن العجوس. وقبل أن أمعن في البحث أذكر ما لهذه اللفظة ومرادفاتها من الحظ في اللغة فأقول:

2: حظ هذه الألفاظ من اللغة

العنجوس لم ترد في ديوان من ديوانين اللغة التي في أيدينا إن مطولة وإن مختصرة. وهذا يدل على أن معاجنا على ضخامة مجلداتها لا تحوي كل اللغة بل جزءاً منها. ويستحب أن يسعى النغويون في وضع معجم جامع للشوارد والأوابد والضوابط والروابط ومصطلحات أصحاب العلوم والصنائع والفنون على ضرورها وفروعها حتى تكون تلك الدواوين مرجعاً يعود عليه كل عربي في كل موضوع ومصطلح.

هذه النقطة وإن لم تذكر في كتب فنون اللغة إلا أن الإسكافي نص عليها في كتابه مبادئ اللغة والمؤلف كما تعلم من أهائي أوائل المائة الخامسة من الهجرة وكان من اخبين في اللغة في عصره. فالاعتماد عليه مما يركن إليه فقال المذكور في الصفحة ١٥٧ من النسخة المطبوعة بمصر بمطبعة السعادة ما نصه: العنجوس (وضبطها وزان صغوق أي بفتح وسكون وضم. والمشهور أن ما جاء على وزن فاعول يكون مضموماً الأول كزبور وصندوق (ويجوز في هذا فتح) والصبور والطبور والعنوت والعنوج والعجوف والعجول والعجوج ونحوها. دخال الأذن وقيل: بل هو الذي يفسد المزاج ويخلل مساد الماء بالفرسية وأرسوه (كذا) ويبدلنا أوسع المعاجم الفارسية ولم نرى فيه هذا النقط الفارسي. وشك أن الواقف على طبع هذا الكتاب صحف هذه الكنية كما صحف كثيراً غيرها. وقد يقال في معنى هذا الحرف أنه يدل على معنى دخال الأذن عند قوم من العرب ويعني المألوش عند قوم آخرين أو عند أغلب العرب. فإن كان بالمعنى الأول فهو من أصل سامي قديم من عجم بالشين المثناة في الآخر ومعناه لسع ولذع وغرز في اللغة الآرامية. وإن كان بالمعنى الثاني فهو عجم العربية ومعناها: قبض على الشيء أو شد القبض عليه. وهو من خواص المألوش. كما ستراد فينا في وعينه العنسي.)

الشيث وزان السب مثل العجوس في الاختلاف في وصفه قال في انتاج: دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس من أحناش الأرض (وهذا هو وصف دخال الأذن الكبير) وقيل: هي دويبة واسعة الفم مرتفعة المؤخر تحوب الأرض وتكون عند الندوة وتأكل (صغار) العقارب وهي التي تسمى (عند قوم من العرب) شحمة الأرض اهـ. وهذا أدق وصف خاء للقدماء في المألوس. والنقطة مشتقة من لفظة سامية مشتركة المعنى في جميع الحروف من شيث به بمعنى تعنى لتعنى كنا هاتين الحشرتين بفريتهما.

العجوس والشيث من كلام العرب الفصح. وأما أهل الشام فيسمون هذه الدويبة المخربة المألوش والكنة من أصل سرياني (أرمي) من منش أي نوع الشيء ونشده وخرطه وقشره وخربه: وكل ذلك من أعمال المألوش هذا فضلاً على أن النقطة سريانية المعنى والمبنى والنقطة على أنه قد يكون من أصل عربي فصيح من منش الشيء. إذا فتش بيده كأنه يطلب فيه شيئاً. على أن فاعول من الأوزان الخاصة بالأرامية وإن وردت ألفاظ عربية موزونة هذا الوزن الأرجح إذا أنها أرامية أي سريانية.

وأما أهل العراق يسمون هذه الدويبة الكاروب وزان المألوش والنقطة مشتقة من كرب الأرض آثارها وقبها. وهذا العمل كنا رأيت من خصائص هذا الحيوان. على أن بعضهم يربطون فيسمونه الكرنب وينفظونها الجرنب بحيم مشتقة فارسية وهو غلط. لأن الكرنب هو نوع من الجعل يقع في كرناف النخل وأهل العراق يسمون الكرناف كرنياً وهو أصول السعف التي تبقى بعد قطعه في جذع النخلة. وكان الصل في هذه النقطة جعل الكرناف أو الكرنب فحذف المضاف وبقي المضاف إليه من باب شهرة الشيء.

3: وصفه العنبي

العناجيس: طائفة من الأحناش من رتبة مستقيصات الأجنحة من جنس الجدد. اسم هذه الدويبة الفرنسية العامي - واسمها الفصح عندهم والإنكليز يسونها - أي الخند الجدد واسمها العلمي بالمعنى الإنكليزي وسميت كذلك لمشابقتها لطنين الحيوانات معاً بظواهرها.

يبدأ هذه الدويبة غريصتان مفنطحتان قوييتان كأنها يبدأ الخند وهم مستندان وقاطعتان من الداخل. تتخذهما بمنزلة منشار ومر وهي تنشر بمنها ما يمكن نشره من أصول الشجار وعروقها وجذورها، وتحفر بمنها ما يمكن حفره. وفكها قويان صلبان.

بدنها ضخمة كالإبهام مكمل وهي تجر نفسها جراً على الأرض. وهي دميعة الصورة جهنمة الوجه لونها أسمر وغريبة الخنقة كأن بها قعساً لبروز صدرها واندغام رأسها فيه. ورأسها بيضي الشكل منحني نحو الأرض يذكر شكله بشكل رأس السرطان تقريباً ما خلا لونه. وجناحها طويلاً كفاية ومطويان طي الشباك ويتجاوزان الغلدين. وقدها كبير بالنسبة إلى مجموع سائر أعضائها وينتهي بطنها بشوكتين مفصلتين شعراوين طويلتين بعض الطول.

والعنجوس يرى في جميع الربوع ويعيش كما يعيش الخند أي تحت الأرض وهو كثير من الضر ولا يعرف له منفعة إلى الآن.

وللعنجوس تباينات منها: العنجوس المشهور أو طولته من ٣ إلى ٥ سنتيمترات ولونه أطلحل وفي عصمه شوكة مخروطة معوجة حادة وعنده بطول البطن ضعفين. وهو يقضي شتاءه غائراً في الأرض في حالة الخمول والجمود فإذا أقبل الربيع نشط من عقاله وغادر خلوته المظلمة خارجاً منها بثقب يثقبه صعباً ويقف مرفقاً له وطريقاً ينسل منه عند الحاجة. وعند الحج يقف الذكر ربيث عند فوهة الثقب ويسمع دويّاً دقيقاً رخيماً

تتذ به الأنثى فتقرب منه. وبعد النقااح تضع الأنثى من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ بيضة في ثقب محفور تحت قارعة رزدق من الرزادق فتقف بعد شهر عن فواخ شديدة البياض لا أجحة لها كأنها الخراطيم فتسو رويداً رويداً وتحول من حالة إلى حالة حتى تبلغ أشدها في الصيف التالي.

والعجوس يحفر الدهاليز والأروقة الطويلة في باطن الأرض ويحدها أحاديث كثيرة. وهو

بينة من بلایا البساتین والحقول والزراع وقد ظن جمهور من الناس في سابق العهد أن هذه الدويبة من أكلة الحشائش والبقول. وليس الأمر كذلك إنما تقطع الجذور والأصول والعروق التي تقف في وجهها وقوف العقبة الكزود طبعاً لرزقها. وهي لا تأكل إلا ما تجده من دود الهوام والحشرات وصغارها. إلا أن قطعها لنجدور ينلف أشجاراً كثيرة ويميتها بتاتاً.

4: طريقة إتلافها

هذا العجوس أعى حياة الفلاحين والزراعيين حتى أيسوا من اتخاذ الوسائل خاربته أو لمطارده. فأشار بعضهم أن تحفر في الأرض موارد عديدة تكون جذراها مقطوعة قطعاً تامة قياماً فإذا جنت لتردها سقطت فيها ولم تعد تستطيع أن تخرج منها.

ذكر آخرون أن أحسن طريقة لإتلاف العناجيس هو أن تحفر في الأرض حفر مربعة وينقى فيها السناد فحسرع في الحال تنك الدويبات لتطلب فيها رزقها من الحشرات فإذا صارت فيها أخذت بمئات وقتلت. وإن شئت طريقة ثالثة فادفن في الأرض جراراً مدهونة الداخل بدهان الخرف فإذا دخلتها لن تستطيع الخروج منها لزلقتها كنسنا حاولت الخروج منها. إلا أن هذه الذرائع ليست مما يعمل بها في الأرضين الواسعة بل

في البساتين الصغرى. ومما يساعد على إتلافها الجرذان والفئران وكثير من الطيور والله
الواقى.

بغداد

(ساتسنا).

التعليم في مصر

انحصر الأمل في العهد الأخير بارتقاء المعارف في اللغة العربية بالقطر المصري لأنه من
بلاد العرب في نقطة متوسطة ولأن الذين يتكلمون بالعربية من أبناء هذا النسل في
شمال أفريقيا وغربي آسيا هم تحت سبط حكومتين تريد كل منهما أن تنشر لسانها
وتقتضي على لسان البلاد الأصلي ففرنسا لا تعنى إلا بتعليم اللغة الفرنسية في الجزائر
وتونس وستكون كذلك في مراكش والدولة العثمانية لا تعلم غير التركية حتى في
المدارس الأميرية الابتدائية في الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة
ولذلك بات الرجاء معقوداً بمصر وحدها. وهذا الرجاء قد عظم خصوصاً بعد أن
أصبح التعليم الابتدائي وأكثر التعليم الثانوي بالعربية وأصبح مدرسة الزراعة العليا
تدرس منذ هذه السنة بالعربية. وإذا دام هذا الارتقاء الذي حدث بمحة ناظري معرف
مصر سعد زغلول باشا وأحمد حشمت باشا فيكون المصير تدريس الطلب والحقوق
والهندسة وغيرها أيضاً من التعليم العالي باللغة العربية فيعود للبلاد رونقها. نعم إن
مصر تنفق على التعليم قليلاً بالنسبة لما تنفقه أصغر الحكومات الأوروبية كسويسرا أو
هولاندا أو البلجيك مثلاً ولكن الزيادة إذا أطردت في ميزانية المعارف توشك بعد مدة
أن ترقى درجة عالية وإناطة التعليم الخفي بمجالس المديرية منذ سنة ١٩١٠ بزيادة
مبلغ طفيف في المئة على أموال الأعيان سيكون من ورائه فائدة كبرى وبعض المدارس

التي أنشئت ثانوية وبعضها مدارس للبنات وعند مجالس المديرية الآن ٤٥١٧٣ صبياً و ٥٥٠٠ بنت في الكتابات عدد ١٠٠٠٠ صبي في المدارس التي هي أعنى منها وهذه المدارس مستقلة عدد الأمين في مصر.

وبلغ عدد التلامذة في المدارس التي تحت إدارة نظارة المعارف في سنة ١٩١١ ١٥١٦٩ و ٢٧١٣ في مدارس تعليم معلمي الكتابات و ٧٧٤٩ في المدارس الابتدائية و ١٦٤٤ في المدارس والفرق الصناعية و ٢١٦٠ في المدارس الثانوية و ٥٦ في الرسائل المصرية وتراقب نظارة المعارف ٣٥٩٠ كتاباً للذكور والإناث فيها من الجنسين ٢١١٤٨٥ و ٣٢ مدرسة ابتدائية ومنها ١٩ لمجالس المديرية فيها ٥٥٢٢ و ١٤ مدرسة صناعية زراعية فيها ٢٠٩٣ ومدرسة ثانوية فيها ٢٢٢ و ٣ مدارس لتعليم معلمي الكتابات وفيها ٢٢٦ ومدرسة لتعليم الممرضات والقوابل وفيها ٢٩ وإصلاحية الجيزة وفيها ٥٩٨.

والتقدم في ترقية التعليم في الكتابات مطرد تحت مراقبة الحكومة وقد بنفت مساعداتها التي أعطتها ٢٢٩٨٢ جنياً وعدد الكتابات الخصوصية التي تراقبهم الحكومة وتعطيها الإعانات، ٣٤٥٥ وكان عند نظارة المعارف ١٤٦ كتاباً تحت إدارتها الخاصة فيها ٣٦١ معنياً و ٧١ معنة و ٩٩٠١ من الصبيان و ٥٢٦٨ من البنات و ١٣ من هذه الكتابات خاصة بالبنات.

ولا يزال عدد المدارس الابتدائية تحت إشراف نظارة المعارف رأساً ٣٢ مدرسة منها ١١ في القاهرة و ٣١ في الأقاليم ونقص تلامذتها ٨٨٨ عن العام السابق لتوسع مجالس المديرية في أمر التعليم إما بإنشاء مدارس ابتدائية جديدة أو بإسعاد بعض المدارس التي كانت موجودة من قبل ومجموع ما في مدارس الصبيان الابتدائية التي للمعارف

وعدها ستون ١٢٤٠٥ وأعدت الموال اللازمة لإنشاء مدرسة ثانوية جديدة في
أسبوط تحت مراقبة المعارف وتفكر الحكومة في مراقبة المدارس الثانوية الخصوصية
ومساعدتها كما فعلت في الكتيب والمدارس الصناعية.

وزادت العربية في الاثني عشرة سنة الأخيرة في تعميم البنات وأنشئت لمن مدارس
جديدة أنشأها المعارف والأفراد الثانوية وكتيب وأصبح عدد مدارس البنات التابعة
لنظارة المعارف والتي تحت مراقبتها ٢٧١٣ وعدد التلميذات فيها ٢٥٠٢٣ وكان نحو
التعليم الزراعي والتجاري والصناعي سريعاً سنة ١٩١١ فمدارس المعارف من هذا
النوع ١٢ مدرسة وغيرها ١٤ وعدد التلامذة في الأولى ٢٠٩٧ وفي الأخرى ١٩٦٨
وأنشئت بعض المدارس الزراعية وأصنحت دروسها وبرامجها وبلغ عدد التلامذة في
المدارس الصناعية ١٦١٧ فشمل التعليم العنفي في مدرسة الهندسة عنفي الساعات
والميكانيكات واستخدم مكان توليد النور للتجارب في الصناعة الكهربائية وجعلت
مدرسة الفنون التي أنشئها الأمير يوسف كمال في القاهرة سنة ١٩٠٨ وفيها الآن
١١٥ تلميذاً تحت مراقبة المعارف وأدخل فيها عملاً برغبة منشئها أسنوب جديد يزيد
ميل التعليم فيها إلى الخطأ العنفي ويزيد ارتباطها بالفنون الوطنية ومنشئ هذه المدرسة
يقوم بنفسها ووسعت مدرسة التدبير المتولي وميعنم البنات تدبير المنزل إلا قليلاً.
وفتحت مدرسة للمحاسبة والتجارة فيها ١٥٠ تلميذاً ما عدا الدروس التجارية التينية
التي تعطى في القاهرة والإسكندرية ونال شهادة مدرسة الطب ٢٧ والحقوق ٧٩ وبلغ
عدد مدارس المعنئين سبعاً للرجال واثنين للنساء وعدد تلامذتها كلها ١١٨٢ وكان
عدد الرسالة المصرية في أوروبا ٥٢ تلميذاً في إنكلترا ٦ في فرنسا ١ في النمسا

وأرسل مجنسا مديريتي الدقهية والجيزة تلامذة إلى أوروبا ليتعلموا علم التعنيم فأرسل أربعة إلى بنجيكا و٣ إلى إنكلترا و٣ إلى فرنسا.

وبنغ عدد طلبة الأزهر والمعاهد الدينية الأخرى في الإسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط ١٤٠٠٠ و ٥٢٤ أستاذاً وفي مدرسة القضاء الشرعي الآن ٣٩١ طالباً ٣٥ في القسم الأعلى وتخرج منها هذه السنة ١٢ طالباً وهو الصف الأول. هذا خلاصة ما تم وأهم شيء أن الحكومة منحت مئة ألف جنيه لخالس المديريات تعيين به على إنشاء المدارس الحديثة وتأثيثها وتجهيزها وأكثر هذه المدارس قد نجح كما زادت ميزانية المعارف ثلاثين ألف جنيه لإصلاحات وأعمال قامت بها المعاهد التعنيم.

بين دمشق والقاهرة

سادي الأخوان

يعجز البيان عن توفية صداقتكم حقها ومقابلة عواطفكم الجيدة بمنحها فقد كسوقم وطنيكم هذا حنة تقصر عنها قامته وظهر إحساسكم الشريف في مظهر أنساه ما لقياء. من المشاق في سبيل الوصول إلى حماكم قدمتم ودامت عوارفكم كيفاً ينجأ إليه في المنبات وعلم نور يستضاء به في الظلمات، ولقد كنت بيت العزم منذ شهرين أن أزور مصركم في الشتاء المقبل لألقى من خنفتهم فيها من خنص الأصدقاء مصريين وعشانيين ولكن قضت الأقدار أن أهبط مصر في صيفها وأهنيها يرحنون عنها على أن مصر حنة في فصولها الأربعة لأن السر في السكان لا في المكان كنا كنت أود أن أشخص إليها من طريق البحر المطروق في ست وثلاثين ساعة موفورة لي أسباب الراحة لا أن أوافيها من طريق البر المجهور على مطية أقضي في السير والسرى من دمشق إلى القاهرة أربعة عشر يوماً وألقى فيها من فقد الراحة ما ينقاه العادة السفر في القفار.

إن ما حثني على انتيابكم في هذه الحال تعرفونه بأجمعكم وليس ببدع أن يقال مثله كل من يتصدى لطلب الإصلاح وينشد الحق والعدل في بلاد حكمت قروناً بالاستبداد ولم تكتب لها السلامة منه، ومن اتنى بذلك يستطير الأذى إذا أنتج عنه نفعاً للخير العام.

قضيت في الشهر الثالث ثلاثة وعشرين يوماً في زيارة مدينة الرسول وأثار وادي موسى أو بترا المعروفة بالعربية الصخرية وبلاد مآب أي الكرك وارض الشراة التي كان يسكنها بنو العباس في أيام بني مروان ومنها خرجوا بالدعوة لدولتهم وأرض البلقاء التي كانت مصايف لني أمية أيام حكومتهم في دمشق وغير ذلك من الأقاليم في أقصى حدود بلاد الشام الجنوبية ومن هذه الأقاليم ما وصل إليه الخط الحجازي ومنها ما يقصد إليه على الدواب فلما عدت إلى دمشق أستريح من وعناء السفر فاجأني الحكومة اخلية بما عودتني أيام الحكم المطلق والحكم المقيد من خرق قانون الحرية الشخصية والفكرية ومحاولة النيل مني بلا موجب.

سعت وطائفة من أصدقائي في سورية بعد انتشار القانون الأساسي أن يكون في بلادنا دستور حقيقي يستتبع به العشانيون غنى اختلاف عناصرهم وغلهم ولكن الفئة المغيبة على الحكومة في الآستانة والموسنة بصنائعها إلى الولايات أبت وخصوصاً بعد سقوط

وزارة رجل السياسة العشاني كامل باشا إلا أن يكون الدستور استبدادياً في صورة حرية فكنا كنا طالبين بمطلب من مطالب الإصلاح الطفيف اقنونا بأنواع التهم بل كنا معهم كما قال ابن أبي طالب كراكب الصعبة إن أشق لها حرم وإن أسنس لها تقم فالحكومة بل الحاكم الذي كان يرهقنا زمن الاستبداد ويشردنا على أننا ناقنون

عَلَى حكومة المخلوع حتى اضطرونا أن نقضي أربع سنين في هذا القطر فراراً من الحيف عاد في الدور الذي يدعونه بالحرية يرمينا بالارتجاج ثم الدعوة لإنكسار ثم بالدعوة لحكومة عربية إلى غير ذلك مما يختلقون من ضروب الافتراء الذي لا يستكف كل ضعيف في حكومة هذا الشرق العس من أن ينصقه بمن لا يقدر على حجاب بهرمان إذا دله على عيوبه ليتها ونصح له بالاعتدال لتطويل أيامه ولا تساوره أسقامه.

ففي مثل هذه الحالة يسارع مثلي إلى الهرب من وجد الظلم إذ لا قانون هناك يأخذ للضعيف من القوي وما القانون عندهم إلا هوى النفس ولا رواج إلا للنزور والنفاق ولا عجب فقد قال ابن خلدون أن الدول إذا تهرمت عن التعف والميل والأفن والسفسفة وسنكت النهج الأمم ولم يحجر عن قصد السيل نفق في سوقها الإبريز الخالص والنجين المصفى وإن ذهبت مع الإغراض والحقود وماجت بسنارة البغي الباطل نفق اليهرج الزائف.

ولذا أرسلنا ساقينا للريح ساعة بلغنا أن الحكومة المحلية في سورية تريد القبض علينا على نحو ما قبضت على مثقينا أحمد المدير المستول لجريدة المقتبس فسرنا (يوم ١٧ نيسان (أبريل) ١٩١٢) بدون ريث بين حدائق صالحة دمشق حتى بلغنا الزاوية الغربية الشمالية منها في المكان المعروف بقبة السيار ومنها قصدنا من دمر إلى المزة بالتصعيد في الجبل أيضاً وهناك اختبأنا في إحدى قرى وادي العجم أياماً حتى قيات لنا أسباب الهزيمة على حصان في صحابة صديق لنا قديم رافقنا من أقصى حدود وادي العجم ففررنا من طرق معوج اجتزنا فيه أرض المزة وبلاس والأشرفية وصحنانيا والدريحية والطيبة وشقحب ثم دير العدس والحارة من قرى إقليم الجيدور المعروف عند الإفرنج

بايتورة حتى بلغنا النقرة من بلاد الجولان التي يسها الفرحة غولانييد فقدنا بالقرب من نهر الرقاد وكنا هومنا في الليلة الثالثة على نقرية من نهر الأعوج المعروف في الكتب المقدسة باسم فرفر من عمل وادي العجم.

وفي الجولان اتصنا بجماعة من تجار الإبل داميين إلى مصر فسايرناهم وقطعنا سهول الجولان ومراعيه وبتنا في الليلة الثالثة دون عقبة فيق ومن الغد هبطنا العقبة وهي لا تقل عن ساعتين وتعد من أعظم عقاب بلاد الشام ومنها يشرف المرء على أراضي الغور غور بيسان وبحيرة طبرية ونهر الشريعة أي الأردن وليس على هذا النهر العظيم سوى جسر قديم متداع وجسر بنات يعقوب فقطعنا الأول سباحة على الدواب ثم توقفنا الجبل إلى موقع الدلايكة وهو واد بين جبلين منفرجين متآزيين من عمل طبرية عاصمة الأردن القديمة بل عاصمة الجليل أصبح أكثره منكاً لنصهيونيين من مهاجرة الإسرائيليين الأوروبيين يستثمرونه ويستثمرونه على طريقتهم المتعارفة في ديار الغرب حتى لقد قحس لنحال بالفرق بين زراعة الوطنيين وزراعة المهاجرين فقرية مما منكمهم أرقى بزراعتها مرات من قرية كفر سبت وسكان هذه من المهاجرة الجزائر فتبتنا تلك الليلة في سوق الخان بند الصبح على ساعتين من الناصرة وفي سفوح جبل الطور المشهور في التاريخ المسيحي.

وفي اليوم الرابع اجتزنا غابة غيباء من شجر البطم فرأيناها آينة للنخواب كما تقول الآن غابات سورية كلها النهم إلا ما كان من غابات لبنان التي تزيد ولا تنقص وقطعنا هذه الحراج في ساعة ونصف حتى بلغنا قرية دبورية وفي منقطع أرض هذه الدسكرة يتبدى مرج ابن عامر أو سهل يزرعيل المذكور غير ما مرة في التوراة. قطعنا بالعرض في أربع ساعات حتى بلغنا قرية النجون ومنها دخلنا في وادي عارة من عمل نابلس وطوله

ثلاث ساعات وهو ضيق النطاق متوازي الأضلاع خصب الرباع وفي آخره كان آخر عهدنا بجبال سورية إذ لم نعد نرى بعده جبلاً يذكر حتى بلغنا أرض مصر في جهات العريش وقطية ففتحنا عن بعد جبلاً في الرمال يستونه جبل الحلال وبتنا الليلة الخامسة في عيون الأساور على ساعتين من قيسارية وهي قرية يسكنها مهاجرون من البوشناق وكانت من المدن الكبرى العامرة في القدم. وفي اليوم السادس اجتزنا قرى بلاد نابلس مثل فاقون وقنسوة والطيرة ومسكة حتى بلغنا نهر العوجاء على ساعة ونصف من يافا وعنده حططنا رحلتنا وطريق هذا اليوم الذي قبله عامر بالحبوب ويكثر الزيتون في بلاد نابلس إحدى أمهات مدن السامرة من كور فلسطين وتقل المياه حتى يضر الأهليون أن يستقنوا من أماكن بعيدة، وفي اليوم السابع اجتزنا بقرى الساحل أمثال جنة سدود مجدل بربرة نهر هديهد غزة وقصينا الليل في دير البنع وفي اليوم الثامن بدأ سيرنا في رمال على نحو ثلاث ساعات من غزة وبعد أن سرنا ست ساعات دخلنا في رفح أول حدود مصر والشام وقد كانت تتأبى الهواجر تلك الليلة أحاذر أن أقع في يد عدو للحرية أو أن أجالس من يستدل بذكائه على أنني لست من تجارة الإبل في العير ولا في النغير أو لا ناقة لي في ذاك القطيع ولا جمل فما فتحت عيني قيل الغسق إلا وأنا أنشد بيت المتنبي:

تدبير ذي حنك يفكر في غد ... وهجوم غر لا يخاف عواقبها

فتضاءت خيراً بالنجاة وإن كنت لا أحب التفاؤل ولا التشاؤم ولا أبني أعمالي على الأحلام والمرائي حتى إذا قيل لي ها أنت في رفح تدوس تربة مصر قلت ما أحرأها أن تدعى فرحاً لا رفحاً ليكون لكل شيء من اسمه نصيب ولا غرو فليس أحلى من النجاة على من كان يتوقع الخطر أو من الوصل على ما يطل به السهاد.

ومن عجب ما لاحظته في أراضي فلسطين أنني شهدت لحكومتنا بعض أثر من عمل مثل إنشائها بعض الجسور على الأودية في حين لم أر عدلاً عمرانياً في ولايتي سورية وبيروت كأن مجاورة لواء القدس للأراضي المصرية عدت فلسطين أو القسم الأعظم منها من ارتقاء بلاد الفراعنة فصحت عريضة حكومة القدس على أن تبنى جسوراً على الأقل وتسد الطرق بعض الشيء ولا جرم أن العلى تعدي كنا قال أبو تمام، ولقد كنا كنا اقتربنا من غرة نحس بتغير المشاهد في بلاد أشبه بجوانها وزراعتها بالبلاد المصرية والناس يكادون يشبهون سكان الصعيد بألبستهم ولهاجهم وهذا من عدوى الجوار وكثر اختلاط المتجاورين من سكان القطرين فإنك كنا ترى جمهوراً كبيراً من جالية المصريين في يافا وغرة هكذا تجد الجسيم والموز من أشجار البلاد الحارة شائعين في صقيع غرة.

دخنا اليوم التاسع في رمال ولم يكن يتغير شكلها خمسة أيام متوالية إلى أن قالت الإسماعيلية ها أنا ذا. وهذه الرمال كانت تعرف قديماً بالجفار جمع جفر وهي البشر القوية القعر الواسعة لم تطلو قال ياقوت وهي أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشي متصلة برمال تيد بني إسرائيل والخصي بينه وبين القسقاط ثلاث مراحل كنا في معجم البندان فيه خان وهو أول الجفار من ناحية مصر وآخرها من ناحية الشام قال أبو العز مظفر بن إبراهيم ابن جماعة بن علي الضرير العيلاني معتذراً عن تأخره لتلقي الوزير صاحب صفى الدين بن شكر وكان قد تلقى إلى هذا الموضع:

قالوا إلى الخشي سرنا على لطف... نلقى الوزير جمعاً من ذوي الرتب

ولم تسر قلت والمولى نعمته... ما خفت من تعب ألقى ولا نصب

وإنما النار في قلبي لغيتها ... فخفت أجمع بين النار والحشب

وكل الجفار رمال مائنة بيض في غربيها منعطف نحو الشمال بحر الشام وفي شرقيها منعطف نحو الجنوب بحر القنزم وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ولا شرب لسكانها إلا منها وكان فيها لعهد ياقوت نخل كثير ورطب جيد وهو منذ لقوم مفرقين في قرى مصر يأتونه أيام لقاحه فينقحونه وأيام إدراكه فيجتونه ويتولون بينه بأهاليهم في بيوت من سعف النخل والحنفاء وفي الجادة السابئة إلى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للنعيشة على القوافل وهي رفح والقس وزعقا والعريش والواردة وقطية وفي كل موضع من هذه المواضع عدة دكاكين قال المهني وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والواردة والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان (أما نحن فلم نر كرماً ولا رماناً ولا دكاناً ولا خاناً) وأهلها ياديه متحضرين ولجميعهم في ظواهر مدنها أجنحة وأمالك وأخصاص فيها منهم كثير ويزرعون في الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون فيع العشر وكذلك يؤخذ من ثمارهم، ويقطع في وقت من السنة إلى بندهم من بحر الروم طير من السنوى يسنونه المرغ (والمرغ هو الطير بالفارسية) يصيدون فيه ما شاء الله يأكلونه طرياً ويقتنونه منوحاً ويقطع إليهم من بند الروم على البحر في وقت من السنة جراح كثير فيصيدون منه الشوامين والصقور والبواشق وقل ما يقدرون على البازي وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقتهم وليس يحتاجون لكثرة اجتثهم إلى الرأس لأنه لا يقدر أحد منهم يعدو على أحد لأن الرجل منهم إذا أنكر شيئاً من حال جناته نظر إلى الوطاء في الرمل ثم قفا ذلك إلى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقه وذكر بعضهم أنهم يعرفون أثر وطاء الشاب من الشيخ والأبيض من

الأسود والمرأة من الرجل والعائق من الشيب فإن كان هذا حقاً فهو أعجب من العجائب.

قلت وبعض ما قاله هذا المؤرخ من الاستدلال بالإقدام على الأشخاص صحيح والوطء يبقى أثره في الرمل أياماً وليس من الصعب أن يتأثر المرء هنا من استباح جنته فإنه إذا علا نشراً من هذه الرمال وهي عبارة عن تنوعات ومنعرجات ومنفرجات وأحاديير لا يثبت أن يشاهد السائر من مسيرة ساعات وفي اليوم العاشر اجتزنا بالعريش وهو من البحر الأبيض على نصف ساعة فالسعوديات على الساحل وفي الحادي عشر غننا بالمزار وفي الثاني عشر بالجندل وفي الثالث عشر بأبي العنين وفي الرابع عشر مررنا بقطية وبتنا بعراض، وفي الخامس عشر بلغنا الإسماعيلية بالقاهرة.

هذا هو الطريق الذي كان يطرقه المصريون والشمزيون منذ علاف التاريخ وكثيراً ما كان بعضهم يؤثرونه على ركوب المراكب والسفن الشراعية لما كان فيها من الأخطار أيام لم يكن البخار يسير مراكب البحار قطعناه في أربعة عشر يوماً وكان أجدادنا يقطعونه في أربعة أيام على خيل البريد ومن هذا الطريق سار عمرو بن العاص سنة ١٩ لهجرة لفتح مصر فزل العريش ثم أتى الفرما وبها على رواية البلاذري قوم مستعدون لقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى إلى القسطنطينة والفرما أو الفرما كان حصناً على الضفة البحر يحل إليه مياه النيل في المراكب من تيسر ويخزن أهله ماء المطر في الجباب وكان بعض أهلها قبطاً وبعضهم من العرب وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر أهل القرون الأولى وفي الفرما أوق الخليفة المأمون رضي الله عنه لما سار إلى مصر فبنت فيها وقد ذكر بغداد ونعيمها وقصورها فقال:

لنيلك كان بالميدا ... ن قصر منه بالفرما

غريب في قرى مصر ... يعانى الهم والسدما

والهيدان من أحياء دار الإسلام والسدم الهم مع الندم والحزن ذكر المقريري أن الدرب الذي يسلك فيه إلى مصر في القرن التاسع للهجرة لم يحث إلا بعد الخمسمائة من سني الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية. وفي المسالك والممالك أن الطريق من دمشق إلى الكسوة اثنا عشر ميلاً (كذا والميل بحسب اصطلاحهم ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي والذراع أربعة وعشرون إصباعاً والإصبع أربع شعيرات ظهر واحدة إلى ظهر الأخرى والشعيرة أربع شعيرات من ذب بغل) ثم إلى جاسم بند أبي تمام الطائي أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى فيق أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى طبرية مدينة الأردن ستة أميال ومن طبرية إلى النجون عشرون ميلاً ثم إلى القنسوة عشرون ميلاً ثم إلى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلاً والطريق من الرملة إلى أزدود (؟) اثنا عشر ميلاً ثم إلى غزة عشرون ميلاً ثم إلى العريش أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى جرير ثلاثون ميلاً ثم إلى القاصرة أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى مسجد قطعة ثمانية عشر ميلاً ثم إلى بنيس أحد وعشرون ميلاً ثم إلى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلاً فهذه ثلثمائة وخمسة وستون ميلاً تبغ نحو سبعمائة كيلومتر.

وكان الدرب المسنوك من مصر إلى دمشق من بنيس إلى الفرما في البلاد التي كانت تعرف ببلاد السباح من الجوف ويسلك من الفرما إلى أم العرب وهي بلاد خراب عني البحر فيما بين قطية والواردة فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمئة أغار بعدوين صاحب الشوبك عني العريش وهو يومئذ عامر بطل حينئذ من مصر إلى الشام وصار يسلك عني طريق البر مع العرب مخافة الفرنج إلى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث

وثمانين وخمسمائة فصار يسكن هذا الدرب على الرمل إلى أن ولي منك مصر الصالح
نجم الدين أيوب بن الكامل فأنشأ مدينة الصالحة في سنة أربع وأربعين وستمائة فلما
منك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في الطرقات حتى صار الخمر يصل من قلعة
الجيل إلى دمشق في أربعة أيام ويعود في منها فصار أخبار الممالك ترد إليه في كل
جمعة مرتين ويتحكم في ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك مالا
عظيماً حتى تم ترتيد وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة.

وما زال أمر البريد مستمراً فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة
من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواك وللخيل رجال
يعرفون بالسواقين وأحدهم سواق يركب مع من رسم يركبه خيل البريد ليسوق له
فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد إلا بمرسوم سنطاني وتارة يمنع
الناس من ركوبه إلا من انتدبه السلطان لمهمات وتارة يركبه من يريد السفر من الأعيان
بمرسوم سنطاني قال صاحب الخطوط وكانت طريق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد
ما يحتاج إليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الأمن أدركنا المرأة
تسافر من القاهرة إلى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء فلما أخذ
تيسور لك الشام ومسى أهلها وحرقتها في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد
واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من اخن عن إقامة البريد فأنحل بانقطاعه طريق
الشام خلاً فاحشاً.

قالوا والبريد خيل تشتري بمال السلطان ويقال لها السواك والعوفات وهي مقررة
على عربان ذوي إقطاعات عليها خيول موظفة تحضر في هلال كل شهر إلى كل
مركز أصحاب النوبة بالخيول فإذا انسلك الشهر جاء غيرهم وهم لهذا يستنون خيل

الشهارة وعلى الشهارة وال من السلطان يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة فيه ويدوغها بالداغ السنطاني وقد أنشأ أمراء مصر وملوكها مثل كريم الدين وكيل الخاص الناصري والمنك الأشرف خليل ومفخر الدين كاتب الماليك وناصر الدين الداودار التنكري وطاجار الداودار وكافل الشام الطنغا والظاهر بيرس البندقداري وغيرهم مخانات ورباطات وفنادق ومساجد وآباراً ودساكر لأبناء السيل وكان الطريق في بعض الأدوار يتحول قليلاً من أول الكورة إلى آخرها ولكنه لم يخرج قط في كونه من مصر من الغوب إلى الشرق ثم يعرج في بلاد الشام نحو الشمال قليلاً حتى دمشق.

وكان حمام الزاجل الذي هو بمثابة تلغراف أجدادنا يسير من القاهرة إلى بليس ومنها إلى الصالحية ومن الصالحية إلى قطية ومن قطية إلى الواردة ومن الواردة إلى غزة ومن غزة إلى القدس ومن غزة إلى نابلس ومن غزة إلى لد ومن لد إلى قاقون ومن قاقون إلى جنين ومن جنين إلى صفد ومن جنين إلى بيسان ومن بيسان إلى إربد ومن إربد إلى طفس ومن طفس إلى الصنمين ومن الصنمين إلى دمشق.

وكان الثلج ينقل على المحين من بلاد الشام إلى حضرة السلطان بقنعة الجبل بالقاهرة وقد جاء زمن وهو لا يحمل إلا في البحر خاصة - كما جاء في التعريف بالمصطلح الشريف - من الثغور الشامية بيروت وصيدا ويفرض على البقاع وبعثك إرفادها في ذلك وكان يسيراً فكثر وقرر منه على طرابلس من استقر على حية بسري والخيطة من عمل لبنان اليوم. والمراكب تأتي دمياط في البحر ثم يخرج الثلج إلى الشرايحانات الشريفة ويخزن في صهريج أعد له وأصبح في القرن الثامن يحمل في البر والبحر ومدة ترتيب حمده من حزيران (يونيو) إلى آخر تشرين الثاني (نوفمبر) وعدة نقلاته في البر

٧١ نقلت متقاربة مدة ما بينها وقد صار يزيد على ذلك ويجهر بكل نقلة بريدي يتدارك ويجهر معه ثلاث خير بحمد ومداراته يحل على فرسه يريد ثاب والمرصد في كل نقلة خمسة أحمال والمستقر في كل مركز له ستة هجن خمسة لفحل وواحد لنهجان قال العمري ولا يصل الشح متوافراً إلا إذا أخذ الشح أخذ وأجيد كسبه واحترز عنده من الهواء فإنه أسرع إذابة له من الماء. وكذلك قال المناور مواضع رفع النار في الليل والدخان في النهار للإعلام بحركات العدو وقد أرصد كل منور الديادب والنظارة لرؤية ما وراءهم وإبراء ما أمامهم وهي من أقصى ثغور الإسلام إلى حضرة السلطان بقنعة الجبل حتى أن المتجدد بكرة بالقرات كان يعلم بها عشاء. وهذه المناور بدخانها ونيرانها أشبه بالنبوستا والإبحكيف لعهدنا.

هكذا كان طريق مصر إلى القرن التاسع للهجرة وهذا أقصى ما بلغته مدينة القوم في أسباب النقل والراحة ويترى اليوم في هذه النفوذ أي الرمال المتراكمة كنا يسيرها العرب أناس من عرب مصر يرجعون في أصولهم إلى بطون وأفخاذ معروفة عندهم تعرفهم بسيماهم مثل الأجسام صف الوجوه على نحو وصفهم واصفهم في القرون الوسطى وهم شامية يقومون على تربية الشاء ولهم جمال قليلة وزرعهم في الأكثر الشعير في الشتاء والبطيخ في الصيف ولهم نخيل قليل في بعض واحاتهم وبالقرب من سخاتهم ولا حجر في ديارهم ينون به بيوتهم ومساكنهم حقيرة يصنعونها من الخوص فلا هم بادية يرون إلى الخيام ولا هم حضر كالعرب النازلين منذ القديم في ريف مصر كالفيوم والشرقية وغيرها من مديريات القطر مثلاً ولهم أقاليم أقرب إلى لهجات سكان جنوب سورية منها إلى النهضة المصرية ومن فلسطين يكتلون وفي فلسطين يقضون شطراً من السنة في رعي أغنامهم وماعزهم ولم تعمل الحكومة المصرية شيئاً لارتقائهم

سوى أنها نشرت أعلام الأمن على ربوعها. ولذلك ترى تجار الإبل يأتون بها من بلاد
مجد والجزيرة والشام ولا يزالوا يحاذرون اعتداء السراق عليها حتى يبلغوا رفح وعندها
يوقنون أنه لا يضيع لهم في تلك البادية عقاب بعير ركان العرب هذه النفوذ من قبل
مثلاً سائراً في الاعتداء على السابلة وهم اليوم معفون من الضرائب والخدمة العسكرية
وغريب كيف لا يناهض قسط من مدنية مصر فحرموا منها كذا حرموا من الاستمتاع
بماء النيل العذب وتربه واديه المترعة.

هذه النفوذ هي الحد الطبيعي بين مصر والشام بل الحد الناعي الذي اصطلحت عليه
مؤخراً الحكومتان المصرية والعثمانية في رفح والعقبة بل الحد الفاصل بين قارتي آسيا
وأفريقية لم يحل كل الزمان دون اختلاط أهل هذين القطرين الشقيقين ومن قرأ تواريخ
الجبري وابن إياس والسخاوي وابن حجر والعري وغيرهم يدرك أن هجرة السوري إلى
مصر ترد إلى مئات من السنين ومن بحثوا في أنساب من تولوا أعمال الحكومة المصرية
وشاركوا مصر في صعودها ونحوسها من العلماء والتجار والصناع يجد فيهم كثيراً من
الشاميين وكذلك الحال في المصريين ببلاد الشام فلا عجب إذا كان حظ مصر والشام
واحداً في السراء والضراء وعلاقتها الاقتصادية موفورة متحركة وليس أعنى
بالقنوب من الصلات المالية. وإن لنرى العوارض السبائية أو الأرضية كذا اجتاحت
الشام فنصر والشام هما قطران بالاسم ولكن بالفعل قطر واحد جرى الاصطلاح على
تسمية كل منهما باسم وكل منهما متم لصاحبه حتى لقد شل أحد عمال الدولة
العنية في القرن الماضي عن رأيه في القطرين فقال مصر مزروعة حسنة والشام مصيف
جميل.

وإذ قد عرفنا أن أجدادنا قد أحسنوا الانتفاع من مجاورة القطرين العزيزين ساعة لنا أن نطالب في هذا العهد بزيادة أواحي الإخاء بينهما من طريق البر على نحو ما هي عليه من طريق البحر فيسعى العقلاء من المالين إلى نيل امتياز يربط عاصمة الشام بعاصمة مصر بخط حديدي عريض حتى يأتي الركاب في أربعة عشرة ساعة بدلاً من أربعة عشر يوماً وإذا أحب القائلون بالأمر الاكتفاء بوصول المكة الحديدية مع أقرب الطريق إلى مصر فلنا عندهم إلا أن يكفوا الآن بإيصاله إلى القدس وهذه ستصل هذا العام بخط حيفا مبدأ المكة الحديدية من محطة العفولة والمسافة بينهما مئة عن لا تقل كيلومتر قد على نفقة أداة الخط اخجاري ومعنوم أن حيفا مرتبطة بدرعا ودمشق وعندها يسهل على ابن مصر الاصطيف في جبال الشام وتبعث هذه بحبوها وثمارها وترسل مصر إلى دمشق بشيء من مدينتها وعلومها وانتظامها ويخص كل من يريد أن يخلص إلى مصر من هذه الرمال الموحشة المرعشة والمفازة المدهشة المعطشة التي تعوذ منها كل من اجتازها وقاسى الأمرين من مائها البشع المر الطوع المتروح ولولا أنني تسليت عن الأكل والمشرب في الأيام الخمسة التي قضيتها في اجياز هذه المفوز بما سمعته في أحاديث رفاقي العرب في الإبل حتى صرت كأني بعض رعائهم لطال عني أمرها ولكني حنت النفس على أن تعلم الصبر من تزلت الجمال وطبقت فيها بالعنل ما قرأته بالنظر أيام الطلب من مصطلحات العرب في إبنهم وحدثهم فصار مذهبي ولا فخر جمالياً بعد أن كان جمالياً وعلمي بالأباعر عتياً وكان من قبل نظرياً.

وكان رحلتي في الشهر الماضي إلى الحجاز وجنوبي الشام ونزولي على أهل البادية من أهلب المدر والوبر كانت مقدمة لما امتحنت به هذا الشهر من مواكبة الأعراب في صفحة واحدة والتخني عن المنعقة والشوكة والسكين والفوطه والكأس والأكل من

أطعمتهم وهي الشن أرز العراق والبرغل جيش الحنطة والتمر والخبز المعمول بالماء أو
عنى الصاج يسجر بعر الأباعر والإدام في هذه الأيام يخالطه رمل وهذا يدخل في كل
مأكول ومشروب تسفوه الرياح طوعاً أو كرهاً ولقد صدق الواصفون منذ القديم لهذه
الجفار بأن الخبز إذا أكل يوجد الرمل في مضغه فلا يكاد يبالغ فيه.

وإني أحمد الله إليكم عني أني قضيت أيام هذه الرحلة ولياليها بومتها لم أطلع فيها
جريدة ولا مجلة ولا كتاباً ولا وقعت عيني ورقة ولا مكنت قلمي ولا كتبت مقالة
ولا محاضرة ولا نكتة ولا قيدت شاردة ولم أسمع غير حذاء الإبل وغناء الأعراب ولم
يصل فكري إلى أبعد من عمل القهوة البدوية أو أكل التمر ولم يبلغ أذني غير أحاديث
الإبل فأصبحت والله المنة استعذب ترددها استعذاني لترديد أخبار المدينة. ومن نعم
المولى علي أني رأيت صورة مصغرة من عيش أهل جزيرة العرب تمشي بين بلاد الشام
ومصر ودرست نموذجاً صالحاً من أخلاق العرب بالاختلاط بتجار الجنال ورعاها ممن
كانوا يحتفون إلينا ويختلف إليهم كل مساء وصباح فلم استع كنمة هجر وبداء
وتجديف قط وما تبيت في أخلاقهم إلا الجدل الذي ليس وراءه جد والعزيمة التي تحور
أمامها العزائم والبحث عني الدوام فينا هم بسبيلهم من التجارة والعناية برعية إبنهم
والقيام عني صحتها فكان وجود السبط والإرطة والقطف والحط من العريش إلى
قطية فالإسماعيلية وغير ذلك من الشواك والأعشاب كالشبح والرثم التي تستطيها
أنعامهم أهم إليهم من كل حديث واشهى لقلوبهم من كل نعمة وأفعل في نفوسهم من
كل نعمة من نعم الجنال والكنال.

قضيت ويا لسعادي أسبوعين كامدين في عالم الأباعر والبعران والإبل والحوار والبطين
والبطنان والكيب والكثبان وشين وزين وترد وتصدر وندج ونسري ونشد ونمرح

ونضحني ونعشي وغير ذلك من فصيح العربية الباقية على أسلالت ألسن أولئك العرب
الأميين ولو أردت أن أستوفي ما سمعته في هذا القليل لاستغرق مجتهداً برأسه وما أحنى ما
سمعته من أحدهم يقول لصاحبه يا فلان خذ من فلان كذا وأنت الفالج أي الرابع من
الفالج وهو الظفر وكيف لا أؤخذ بما وعيت ورأيت وأنا طول هذه الفترة لم أسمع غيبة
ولا غيبة ولا شهدت كذباً ولا منكراً وكان أولئك الأعراب بأجههم مواظبين على
صلواتهم بدون تكلف يتيمنون يوم يقل مأثمهم ولا يسرفون فيه إذا وجد. أخلاق
طاهرة متينة ما كنت أظنها باقية في البادية وأرجو أن لا تفقد بتاتاً من أهل الحضر ولو
قيماً لسكان اليمن ونجد خاصة شيء من المدنية الصحيحة لفاقوا ولا جرم الإنكيز
والكسوينين بأخلاقهم وأناقم ورويتهم وإني لما أخبرت القوم أيقنت بفساد القضية
التي وضعها أحد الباحثين من أصول الشعوب من أن الطيش والرعونة والفسق تغلب
على سكان البلاد الحارة ومع أن بلاد هؤلاء الأعراب من الأقاليم الحارة جعلت منهم
التربية الدينية المعتدلة أهل اعتدال وكمال وأهل مال وأعمال.

هذا وقد أطلت حواركم حتى خفت عنكم التبرم بحديثي وإني حامد شاكر لكل ما تم
عني لا يفتاني بأن الحوادث أكبر معنم ولولا الحادثة الأخيرة في دمشق لما تيسر أن ابذل
مصر من شرقها وأن أستمتع بنقياكم الآن وأرجو أن يدوم لي هذا الاستمتاع ولكن
على شرط أن يقيض الله لبلاد العثمانية من يغار على مصنحتها وينقذها من سقطتها
وأسأل القاهرة الجبارة والسلطين أن يمن علينا بنعمة الراحة أجمعين.

مطبوعات ومخطوطات

الحضارة القديمة

تأليف أحمد بن كمال (ص ٣٨٣) طبع بمطبعة مجلة الجامعة المصرية

أهدانا محمد كامل أفندي فيضي مدير مدرسة القاهرة وأحد أصحاب الجامعة المصرية نسخة من هذا الكتاب النفيس والمؤلف أعظم أثري في هذا القطر وكتابه هذا محاضرات كان يلقاها على تلاميذ الجامعة في حضارة القدماء المصريين ينحصر بها خلاصة اختصاصه بهذا الموضوع الجليل وهو مكتوب بأسلوب ساذج ومحمى بالرسوم والصور بحيث ينم قارئه إلماماً كافياً بالتاريخ القديم وآثار الفراعنة في مصر.

الحضارة الإسلامية

تأليف أحمد زكي باشا (ص ٨٤) طبع في مجلة الجامعة المصرية

مؤلف هذا الكتاب من خيرة الخطباء والكتاب في مصر نشر عدة رسائل وكتب تعريباً وتأليفاً وآخر كتبه هذا السفر النظيف الذي جعله في صورة رواية والحقيقة أنه كتاب في الإصلاح السياسي والاجتماعي والأدبي ومن فصول الكتاب ما يأخذ بمجامع القنب ويفيد إثارة عواطف النفس ومنها ما يشير به المؤلف إلى أمور لا يوافق عليها الكثيرون اليوم في هذا الشرق كتبها بأسلوب صريح دل على تفانيد في الحرية والتسامح.

حكم نابليون

ترجمة محمد لطفي أفندي جمعة طبع على نفقة مكتبة التأليف بمصر سنة ١٩١٢

(ص ١٦٩).

وهي حكم أثرت لنابليون أعظم الفاتحين في القرن الماضي صدرها بترجمة حياته وعربها على أسلوب سهل حرية بأن يتدارسها أبناء المستقبل فيستفيدون الكرم الملاح من الآثار

عن ذاك السفاح.

كلمات نابليون

تعريب إبراهيم أفندي رمزي طبع بمطبعة الهداية بمصر سنة ١٩١٢ (ص ١٣٥).
هذا الكتاب هو عين الكتاب الذي سبق الكلام عليه وعربه الكاتبان عن مصدر واحد
ويا ليتهما اكتفيا بإحدى الترجمتين وصرفا الوقت في نقل كتاب آخر وهذه الترجمة
كالتى قبلها حسنة والمترجم أيضاً من أدباء مصر العامين.

إياك

تعريب إبراهيم أفندي رمزي طبع بمطبعة الهداية (ص ٥٦).
رسالة فيما يجب للرجل المتحضر أن يتخطاه ولا يقع فيه من الأطوار والأقوال
والعادات حرة أن يتدارسها ناشئنا ليربوا على العادات الصحيحة والأطوار الرجحة.
الوسيط في تراجم أدباء شقيط

تأليف الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي

طبع بمطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٩ - ١٩١١ (ص ٥٤٢).

أهدانا محمد أمين أفندي الحانجي الكتي طابع هذا الكتاب وعشرات غيره من الكتب
النيسة نسخة من هذا السفر وفيه كلام بديع على أدباء ذاك القطر وشعرائه وعلمائه
وتخطيط البلاد وعاداتها وأخلاقها واقتصادياتها والمؤلف من كبار النغوين في هذا العصر
أمنى هذا الكتاب من محفوظة فسد بما نقده من شعر أبناء قطره وأخبارهم ثلثة مهصة
في عالم الأدب وزاد الكتاب رونقاً جمال وضعه وطبعه وشكده.

الإعلام بمثلث الكلام

نجد بن مالك النحوي الأندلسي المتوفى سنة ٦٧٢ وبنيد كتاب المقصور والمدود له
أيضاً وعليها شرح لناشرهما الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي.

طبع بالمطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ (ص ٢٨٨).

هذا الكتاب من المصنفات التي لا يسغنى عن الانتفاع بها كل طالب لإحكام ملكة اللغة وكيفية النطق بالفصح نظماً ابن مالك شعراً مسلماً مشكولاً بالشكل الكامل وعلق عليها الشيخ الشقيطي ما يقتضي لها من شرح لدلا يتعاضى على الطالب فهمها فجاءت من الكتب الجديرة بأن لا يغفل عنها عشاق اللغة وأن يتدارسوها كما يتدارس طلاب النحو ألفية ابن مالك فتشكر معلق حواشيها على همته ونشاطه.

ديوان الشنشاخ

طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٧ ص ١٢٠.

نشر هذا الديوان لشنشاخ بن ضرار الغطفاني الصحابي الشيخ أحمد بن الأمين الشقيطي أيضاً وهو من الدواوين التي تقوي ملكة الأدب ويستفاد من سلاستها وحكمها وقد جاء الشرح أوسع من الأصل.

مختارات البارودي

لمحمد سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢

بالقطع الكامل طبع بمطبعة الجريدة بمصر سنة ١٣٢٧ - ١٣٢٩.

أربعة أجزاء في ١٨٠٣ ص.

البارودي أكبر شعراء العصر والشعراء قد يكون في اختصارهم أعظم منهم في شعرهم كما قيل عن أبي تمام الطائي في حماسه ولعل البارودي الذي صرف شطراً من أوقاته في أخريات أيامه قد وفق إلى ذلك فقد جمع من شعر ثلاثين من فحول الشعراء المولدين ما فر به على الطلاب عناء كبيراً ورتب مختاراته على سبعة أبواب وهي الأدب والمديح والثناء والصفات والسيب والهجاء والزهد وأما الشعراء الذين اختارهم فهم بشار بن

برد العباس بن الأحنف أبو نواس مسنم بن الوليد أبو العتاهية ابن الزيات أبو قحام
 البحرى ابن الرومي ابن المعتز المتنبى أبو فراس الحمداني ابن هاني الأندلسي السري
 الرفاء ابن نباتة السعدي الشريف الرضي أبو الحسن الهادي مهيار الديلمي أبو العلاء
 المعري صرد ابن سنان الخفاجي ابن حيوس الطغراني الغزي ابن الحياط الأرجاني
 الأبيوردي عنارة البسي سبط ابن التعاويذي ابن عيين. وقد علق عليه جامعه شرحاً
 وجيزاً لغويّاً وعنى بتصحيحه كذب يده الشيخ ياقوت المرسى وفيه شكل على الأبيات
 المشككة وطبعه جيد وحرّفه مشرق يوفّر على أبناء العصر من ضاقت أوقافهم عن أن
 تتسع لكل شيء إذا اقتوه وتدارسوه فعلى جامعه فقيد الأدب والشعر تتهل ديم
 الغفران.

أخبار وأفكار

المستعمرة اليهودية في أسوان

جزيرة أسوان أو مدينة الفيل المعروفة عند اليونان باسم الفنتين وتسمى أيضاً قبح
 وبالعربية جزيرة البربا وجزيرة الذهب وبالمصرية القديمة مدينة أبو هي من البلاد التي
 توفر علماء الآثار على البحث فيها والتقيب في أرجاء عادياتها وعرفوا على ذلك
 الأموال الطائلة فظفروا ببعض المستندات التاريخية وقد كتب أحد علماء الفرنسيين في
 مجلة الكورسبوندان مقالة في نزول اليهود هذه الجزيرة قال إننا نجعل فيها الحوادث
 الخاصة التي دعت جماعة من الإسرائيليين أن يأتوا من مملكة اليهودية فزلوا جزيرة
 أسوان ولا نعم إلا أن هناك حملة عسكرية أقامها المصريون على ما يظهر تقوية للحامية
 في مدخل القطر المصري الجنوبي. وقد كان من افتتاح يختصر لمدينة أورشليم أكبر

حامل لكثير من اليهود على أن يهاجروا إلى مصر عرفنا ذلك مما كتبه النبي أرميا وقد
 قادمهم نيكاو إلى تلك الأصقاع ونزلوا فيها بصورة قطعية وأصبح معظمهم جنوداً
 وزراعاً وكانوا يسقون حقول القثاء ويزرعون الحبوب ويجنون الشجر ومع هذا لم ينسوا
 بلادهم الأصلية بل توطنوا على شاطئ النيل ولم يرحلوا يتذكرون في العجائب التي
 حدثت زمن موسى الكليم ومازال بهم الدمر حتى ألغوا هذه الجزيرة التي نزلوها
 وتغنوا لغتها وعادتها ولقد كانت أوراق البردي كلها سنة ٤٠٠ قبل المسيح أيام
 استقلت مصر تحت سلطة منك بينها مكتوبة باللغة الآرامية وهي النتيجة التي أصبحت
 على عهد الفرس لغة دولية تغنيها الإسرائيليون في وقت قليل. ولم يكن من فرق يمتاز
 به يهود مصر إلا من حيث الدين فهم يعبدون رب آبائهم ويدعونه أيها هو رب السماء
 والمصريون يعبدون كيروم ورأسه رأس حمل وهم يركعون أمامه في حين يذبح اليهود
 الحمل قرباناً كل يوم. وقد كتبت الغنية للتصريين على الإسرائيليين فدكوا لهم معبدهم
 وجعلوا عاليه سافده حتى قال الإسرائيليون في أسوان لقد أتى علينا ثلاث سنين ونحن
 نلبس الخيش ونصوم وأصبح نساءنا كالأيامى ولم نتطيب ولم نشرب خمراً ولم نقدم
 قرباناً ولا بخوراً ولا ذبيحة في هذا المعبد الذي تداعت أركانه. وإذا قد حرموا من
 معبدهم في أسوان انحصروا في دائرة ضيقة مقفنة على صورة تذكركم بما ألغوه من
 العادات في بلادهم وما برحت هذه الحالة بالديانة الموسوية حتى أتت عليها عبادة
 الأوثان الشائعة في ذات الزمن وعندها قام النبي أرميا يهتف قائلاً أن جميع رجال بلاد
 اليهودية النازلين في أرض مصر سيفنيهم السيف ويأخذهم الجوع وتمت هذه الكلمات
 بالفعل إذ هنك اليهود في أسوان في ثورة عامة على ما يظهر. وإننا إذا لم تصنأ أخبار ما
 أبداه الإسرائيليون من المقاومات في الغارات فقد انتهت إلينا أحوالهم الخاصة فنعمهم

مثلاً أن شريعة موسى تصيق جداً على النساء أما النساء الفتيان مدينة الفيل فالظاهر أنه كن أقل رقاً من غيرهن ونعرف عادات الأسرة اليهودية وأن الباتنات (الدوطات أو الجهاز) هي عبارة عن مرايا وكؤوس من الصفر وألبسة من الصوف وفرش من ورق البردي ونعرف أولئك المهاجرين على ما كان لهم من الشواغل الحربية والمدنية وإهم كانوا يصرفون أونة فراغهم في النظر في الآداب ومكن الأسف أن العناء لم يظفروا بشيء من رسائلهم المقدسة ولو وفقوا لذلك لأقاموا بها عماد التاريخ الأدبي بل أثمن عنده في بيانه.

الكبريت والخصب

أثبت العناء أن زهر الكبريت إذا أضيفت منه كمية قليلة إلى التربة المتنوعة التي تجعل في الأواني لتربية الزهور ونحوها يؤثر تأثيراً مهماً جداً في الإنبات ويزيد غنة المزروع زيادة كبرى خصوصاً في التربة المستعملة على الدوام.

سماد البوتاس

للأملاح المحلولة من البوتاس شأن عظيم بين محاصيل التربة وما من نبات ينمو بدون أن يتناول ولو كمية قليلة منه في التراب وكم استعمل في هذا السيل فكان منه أن ضاعف غنة الأرض وأهم مناجم البوتاس في بلاد ألمانيا ولذا احتكر تجار هذه البلاد تجارة هذا السماد في العالم بما ألفوه من التقنيات وتحكموا في أسعاره على ما شاؤوا. وإذا كانت تربة الولايات المتحدة على خصبها لا تسغني عن هذا السماد فقد بلغ ما جلبته من السماد الألماني سنة ١٩٠٠ ٢١ مليون فرنك وفي سنة ١٩١٠ ٦١ مليوناً وفي ١٩١١ ٧٦ مليوناً وإذا دامت هذه الزيادة مطردة مما لا مناص منه كان على الولايات المتحدة بعد عشرين سنة أن تنفق في السنة على هذا الغرض مئاري ومائتي مليون

فرنك وقد بذل مجلس نواب أميركا ثلاثة ملايين للبحث عن السناد الذي يمكن استخراج منه من بعض جبال البلاد حتى لا تضطر إلى إخراج مبلغ كبير لشراء السناد الألماني ولكن أعمال النجته في ذلك لم تأت بشرة وكذلك فعل غيرها وإذا ينس الباحثون من العثور على السناد المطلوب من اليابسة أخذوا يفكرون في استخراج منه من البحر إذا أن في ماء البحر كمية من أملاح البوتاس ولذا كان اخط الكبير حوضاً لا ينفذ منه البوتاس وحسبوا أنه إذا استخرجت من البحار جميع أملاح البوتاس الموجودة فيه يتأتى الحصول على طبقة من السناد تغطي أراضي الولايات المتحدة على ٣٠ متراً على أنه من الصعب استخراج ما ينبغي الآن للفلاحين من الكميات وإن ثبت لتطبيع أن النباتات الكبرى في اخط الهادي تحتوي على كميات وافرة من الأملاح وهذه النباتات اسمها بالنسان النباتي بيروميس ويمكن استنباطها بكميات وافرة في البحار الأميركية من تخوم المكسيك إلى اخط الشمالي وينبع طول الواحدة عشرين متراً تتألف منها غابات غيحاء وكل طن يحفف من هذه النباتات يحتوي على ٢٤٠ كينو من ملح البوتاس تساوي مئة فرنك ويقدر أن كل هكتار من سطح البحر يحتوي على مائتي طن من هذا النبات والحكومة الأميركية تفكر كل التفكر بهذا المشروع الحيوي.

تليفون الصم البكم

تأسف أحد العرفين من الصم البكم في الغرب واسمه وينيام شواف لأنه محروم هو وإخوانه من التخاطب بالتليفون فاخترع طريقة جديدة تفي بهذا الغرض واستعمل النور بدلاً من الصوت على طريقة أسهل من الرديوفون لا يحتاج معها المخاطب إلى الكلام مع مخاطبه إلا أن يعن النظر في آلة أمامه فيها الحروف والأرقام التي تتألف منها

الكلمات والأعداد والمصايح الكهربائية لا تضيء إلا إذا اشتغلت الآلة الكاتبة وتنطفئ بانطفائها. هذا اختراع الصم البكم بأنفسهم لأنفسهم فنتى مخترع يا ترى في الشرق من سلت حواسهم من الآفات.

أعناق البحار

ثبت لأحد الأخصائيين في درس الأبعاد أن اخطئ الأتلانتيكي يمتد من أسلاندة فينغ ١٥٠ ألف كيلومتر طولاً وعلى جانبيه حوضان ينبع عنق البحر فيهما من ٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ متر وفي بعض الأماكن لا يكون أكثر من مئة متر وإن هذه الحال كثيرة الأسماء وأعنى محل في البحر الأتلانتيكي يقدر بـ ٨٣٤٠.

الفلسفة الحسية

واضع هذه الفلسفة المسماة بالبوزيفيتيزم هو أوغست كونت وعن فلسفته أخذ الفيلسوف سنسر الإنكليزي وهذه الفلسفة في ديار الغرب أنصار كثيرون ولم يعدم الشرق أناساً يقننون أيضاً في قبول مبادئه فمنهم فئة في القاهرة وأخرى في الأستانة ولا ندري إن كانوا قبلوا الفلسفة الحسية بعد دراستها أو تناولوها تقنياداً.

ولهذا الفيلسوف ميل شديد للإسلام وحسن الظن به وكثيراً ما يوصي بتلاوة القرآن والتوراة والنظر فيهما وكان لكونت اعتقاد جازم بمقتبل الإسلام ويعجب بما قام به من الخدم للسندية ذكر ذلك غير مرة في كتبه ولا سيما في كتابه إلى الصدر الأعظم رشيد باشا سنة ١٨٥٣ وذكرت مجلة العالم الإسلامي الفرنسية أن المسير كريستيان شرفليس قد جمع مؤخراً أقوال الفيلسوف كونت في المادة مقدماً لها مقدمة طنب فيها التضامن بين الإسلام والفلسفة الحسية قال وعنى فرض أن الإسلام صار إلى خطر فلا يكون له منجأ أحسن من دين الإنسانية أي فلسفة كونت.

عيون النبات

أثبت أحد كبار أساتذة النحس في النبات أن لكثير من النباتات حاسة النظر ويمكن تشبيهها بالحيوانات الصغرى وخلاياها تشبه خلايا الهوام التي بها تبصر ومعلوم أن للذباب العادي أربعة آلاف خلية ومبعة عشر ألفاً للنفراش وقد أيد هذا الرأي بعض أساتذة من إنكلترا وقالوا أن لنباتات عيوناً حقيقية كعيون النحل فبصر بها ما يعرض أمامها بعيداً كان أو قريباً.

غلاة الكتب

يعنى غلاة الكتب مكانة زائدة على الجنود ولذا بعث إليهم جمعية الفنون في لندرا بإنذار جميل تدعوهم فيه إلى السهر على المضار التي تحدث من الحشرات التي تغشى الجنود وهي معرضة لها في الأكثر لا مناص لها منها. وجند السختيان والخزير والرق الحقيقي أقل تعرضاً لعبث هاته الهوام وليس جند الثيران وجنود روسيا ممن يجدر الاعتماد عليه في وقاية الكتب أما القناش والمقوى البسيط فيجب البتة إبعادهما من كل مكتبة يحترم ما فيها ويغالى بحفظه وبقائه.

النفقات الكسالية

لو ارتقى في الشرق فن الإحصاء ولاسيما في مصر لثبت أن النفقات في الكساليات والنفقات في سبيل الطرب والموبقات يزداد شهراً فشهراً بل يوماً فيوماً وما غلاء أسباب المعاش بالذي يحول على الإقبال على دور التثيل والصور المتحركة والموسيقى والتزحلق والألعاب المختلفة ولكن ليس هذا شأن البلاد الراقية فقد أحصت باريس ما أنفق الناس في دور تفتيلها فبلغت مداخيلها في السنة الماضية نحو ٥٩ مليوناً من الفرنكات أو نحو مليونين وأربعمئة ألف جنيه هذا على حين لم يتجاوز مجموع ما جع

لإغاثة البائسين في تلك العاصمة الكبرى ٢٥٤ ألف جنيه فتأمل كيف يقبل الناس على
المسليات ويرغبون عن الباقيات الصالحات.

ملك الصحفيين

يعرف قراء الصحف اليومية أن من جملة من غرقوا في الباحرة تيتانيك التي غرقت في
شهر إبريل الماضي في مياه أميركا وغرق فيها نحو ١٥٠٠ رجل وامرأة من أنحاء العالم
المستر وبنيام ستيد صاحب مجلة الغلات وملك الصحفيين في إنكلترا مغيث المنهوفين
وخادم الإنسانية الأمين ولسنا نطال هنا إلى كتابة ترجمة الرجل فترجمته تشبه تراجم
أكثر العصامين في العالم تعلم في مدرسة ابتدائية فقط ثم عمل في التجارة سبع سنين ثم
اتصل في الصحافة مدفوعاً إليها يعامل الولوع بها وأنشأ منذ سنة ١٨٨٩ مجلة المجلات
الإنكليزية وهو في الأربعين من عمره فامتازت وهي شهرية بمقالاتها السياسية المؤثرة
ولكننا نريد لأن نذكر له ميزة من أكبر المزايا فيه وهو أنه ينتهب إذا سمع ظمناً نال
تعباً مظلوماً ولطالما شدد الوطأة على حكومته في قهورها بحرب البوير ودافع عن البوير
حتى اضطرت حكومته بعد إنفاق النفقات الطائلة وبذل عشرات الألوف من الأنفس
أن ترجع إلى رأيه العادل العاقل وكل الأمم كما قال أحد واصفيه مهنا بنغ من
عظمتها تراها كالأطفال تكشر عن ناهها قبل تناول الدواء الذي يصفه الطبيب. وله اليد
الطولى في إنشاء محكمة السلام في لاهاي وهو الذي قبل معظم منوك الأرض
وأعاضها وعنائها واشتهر بحادثاته السياسية التي سن سنتها ولطالما كان يدل على
المنوك والأمراء وأرباب المال من ذلك إدلاله على قيصر روسيا وقوله له تنصرف الآن
عظمتكم لترى القيصرة والأولاد فصرف هو القيصر بدلاً من أن يصرفه القيصر ومن
ذلك أنه اجتمع مع سلطان العثمانيين في صدد اعتداء الطليان على طرابلس الغرب

وأراد السلطان أن يهديه هدية فخاف سيد من ذلك أن يكون وساماً أو غير ذلك من أدوات التشريف في الحكومات فنحظ السلطان ذلك وقال له مثلك لا يمنح وساماً فرتبت أعظم الرتب وأراد السلطان أن يهديه عتبة لقائف من الذهب فقبلها ولكن بعد أن أهدي هو للسلطان مسكة قنم من ذهب أيضاً ولم يرض سيد أن يأخذ قط نفقة ينفها في سبيل من السبل لأجل غرض يتعلق بمثلك أو أمة بل كان يصرف من جيبه مع أنه ليس من أرباب اليسار الزائد وقد رأينا من يزيدون عليه مئة ضعف بثروتهم حتى في إنكسار يسعون إلى المطامع الدنيئة ولذلك عظم موقع سيد من النفوس حتى أنه نسي حقوق الصداقة مع سسل رودس الغني الإنكليزي الكبير يوم الحملة البويرية وحمل عليه حملة منكرة لأن هذا كان من النافعين في ضرام حرب الترنسفال في حين كان رودس يريد أن يدفع مليون جنيه لسيد لينشئ بها جريدة يومية لا مثيل لها بين صحف العالم المتمدن تباع على مكائنها مجاناً لتبث الأفكار الصحيحة خالية من مؤثرات رجال السياسة والمالين والتجار والاحتالين والمشتريين والمبتاعين وغيرهم لتكون صحيفة بضاء نقية لا تقول إلا الحق ولا تدعو لغير العدل. كان سيد الحركة الدائمة في العالم يطوف لإقناع الأمم والحكومات بإقامة العدل يفكر أثناء السفر ويكتب في البحار وعنايته مجتهد جعنتها في مقدمة مجلات العالم وكذلك كان في كل عمل تولاه قبلها ولا سيما رئاسة تحرير البال ما غازت وكان على جانب من التدين كبير يقول بأمور في الأرواح لا يقول بها المشغولون بالأبحاث الطبيعية وبقي على تدينه إلى آخر حياته فهو خديم الإنسانية طوال حياته وخدم أمته أجل خدمة وسجن مرة لفرط حرته وخرج بعد ثلاثة أشهر أقوى همة مما كان قبل السجن وبالحسنة فهو تمثال الصحافي الحقيقي بعنده وتجاربه ومضاته وشرف نفسه وبعده عن المطامع لا كآثر الصحافيين في الشرق والغرب

لصوص في صورة صلحاء وأبالسة يقولون في الملائكة ويفعلون فعل الخنازير وما الفصل حقيقة في نبوغ هذا الصحافي العظيم إلا لسلامة محيطه ومن كانت أمته كالأمة الإنكليزية في حبها الحق والعدل كان حرياً أن يعمل مثل سيد الأعمال الكبرى التي لا يحلم بها كل إنسان.

فقيد دمشق

فقدت دمشق عالماً أديباً من الطراز الأول أستاذنا السيد محمد المبارك الجزائري عن ٦٧ سنة كان فيها مثال الأدب الرائع والأخلاق الفاضلة كرم النفس. درس كما يدرس

أهل

عصره فحفظ القرآن وآتقن العلوم العربية والدينية واختص باللغة والأدب ثم التصوف ومما استظهره مقامات الحريري فكان يتلوها كلها لا يحرم منها جملة وعلى أسلوبها نسج في شعره ونثره فكثرت ألفاظها وجناساتها أكثر من معانيها ومقاصدها وله قدم راسخة في النقد الأدبي والنغوي قل أن يدانيه أحد في سورية. وللاستاذ محاورات وقصائد ورسائل ورحلات أهدى معظمها في صباه للأمير عبد القادر الحسيني الجزائري واشتغل في آخر عهده بالطريق بما زجه حسن العشرة والظرف وكان مجتنباً عنى وقار فيه أشبه بمجالس الأدباء منه بمجالس المتصوفة والفقهاء هذا مع سباحة اليد وطلاقة الوجه بحيث لم يدخل منزله أحد عنى كثرة من كان يغشاه من مريديه إلا ويكرمه جهده طاقته ويصدر عنه بفائدة أدبية أو أخلاقية تستل قنبه وكانت له طريقة في معالجة صرخ المصابين بالنبوبات العصبية وغيرها لا تعرف لها تعيلاً عنيماً. وقد قرأ لتلاميذه ومريديه كتباً كثيرة في التصوف والأدب الحديث والتفسير وصح ما وقع في أكثرها

من الأغلاط والأوهام فبرهن لم عرفه أنه أديب في حقيقته صوفي في مظهره طويل النفس حتى في الجزئيات طاب ثراه.

قصة

نتائج الإهمال

دخلت عيشاً ذات يوم مكاناً عاماً تعرض فيه الصور المتحركة لأقضي ليلة من ليالي هومي فأنصرف بالفرج عن السياسة فبينما أسرح الطرف لأختار مكاناً لنجوس لفت نظري فتاة مسنة لا تتجاوز الرابعة عشرة سنة قمشي رقصاً وتيه عجباً بملاءة من الحرير الأسود مزركشة بأنواع التخاريم ضيقة الأطراف والأذيال تكاد تظهر أعضاؤها فيرى الناظر إليها خصرها النحيل الذي زاد غولاً بضغط اللشد وهو محاط بزئار من الحرير الأسود ويرى فديها نافرين وكفنها بارز وكأن هذا المظهر غير كاف حتى أخرجت شعرها المتجمع من فوق جبينها الوضاح كأنه إكنيل من الأزهار وزان الخالق جبينها بقوسي حاجبها وأما عيناها النجلاوان وأجفائها المتكسرة وأهدابها البارزة فقد زينتها بكحل أسود يخص بغانيات مصر كحل يزدن به كحلهن جمالاً يسحرن بغيرهن قلوب الناظرين ولها أنف مستو يعلو نصفه برقع شفاف من الحرير الأبيض على أنها قريبة من البياض ولما دخلت لفتت رأسها إلى الجانب الأيمن فترأى من تحت البرقع جيد أشبه بجيد الغزال مطوق بطوق من الذهب وهي مكشوفة الزندين كأنها ذاهبة إلى مرقص على النمط الإفرنكي ففقدت في نفسي ما هذا التبرج؟ وهل بعد ذلك أقول أنها في حجاب! على أنه أعجبي تستر بعض السيدات المصريات بما يطنقن عليه الحجاب الشرعي إذ لا يتيسر لسناء لا يراهن متبرجات تبرجاً جاهلياً وكيف يجوز لنشريفة

العفيفة أن تبرج لغير زوجها؟ وما التبرج الجاهلي إلا دليل السداجة وسلامة الطوية أو دليل خبث النية وعادة سيئة.

أسفت عندما رأيتهما دخلتا إلى مثل تلك الأمكنة العامة وحيدة وليس منها مكنف من محارمها يدفع عن أذى المتهاكسين ومن الأسف دخول السيدات إلى الأمكنة العامة حيث يختلطن بالرجال ويسمعن من الألفاظ ما يؤذيهن ونما هذا العمل الآخر ق لآداب الشرق وشرف اخجاب.

دخلت تلك الفتاة محلاً خاصاً فدعاني حب الاطلاع على الأمور مغروس في فطرة الإنسان أن أراقب أعمالها فدنوت من اخل الذي جنست فيه وما أشد دهشتي وقد شاهدتها تتعاطى كزوس حتى دخل فتى مصري وبصق في وجه الفتاة وعنفها بكلام مخجل فنسأ رائته ارتعدت له فرائصها ووقعت هي وحييها في اضطراب ووجل ثم رجع الفتى وأتى برجل من الشرطة وأخذ يراقب مكافئها فسبعتهما تقول يا دهنوتي بعرضك يا سيدي وأنا أعلم إيد دي الوقت فقال لها تربصي وخرج وأتى بعربة فركب فيها مع الفتاة وذهب فتبعه الفتى والشرطي بعربة أخرى فتبعتهما بعربة ثالثة إلى أن وصل الحبيبان إلى أحد المخافر ونزلا معاً ونظرا إلى الفتى نظرة تمديد وهما بالدخول إلى المخفر لكن الفتى المصري ظل سائراً مع البوليس فتبعتهما مسافة قليلة ثم نزلت ووقفت أراقب أعمال الحبيين فرأيت أنهما لم يدخلوا بل ركب الفتاة المركبة بعد أن كنت الشاب بضع كسبات وذهبت وبقي هو أمام المخفر ثم رجع ذلك الفتى وكنم حييها هنيهة غير قليلة وأنا أنظر إليهما وأستخرج المعاني من حركاتهما وإشارتهما فتبين لي أن الحبيب كان يؤنب الفتى على عنده وكان الفتى يأتي بحركات تدل على الاعتذار. ثم تصالفا وتفاقفا.

هم الحبيب بالرحيل فدنوت منه وخاطبته بنطف: أيسح لي سيدي بأن أكنه وأسأله عن بعض الأمور وأنا راج عفوه على جرأتي لمشافهته من غير سابق معرفة فأجاب بكل لطف لك ذلك وكرامة.

سيدي أعلم أي رجل غريب عن هذه الديار قام في ذهني أن أدرس أحوالها لأقف على الحياة الاجتماعية لهذا القطر وقد راقبت أعمالك وما جرى معك مع الفتاة المسنة من أوله إلى آخره ولاحظت أن في المسألة غرابية وأمرأ ذا بال وأن وراء الستار أموراً لم أكشفها عن بعد فهل تسح لي بأن تقص عني جني الأمر لأعلم إن كنت محطاً في ظني أم أنا نصيب ولا يدخلك ريب مني لأني فهمت أكثر كما تحلل القصة ولا يحتاج إلا إلى كشف الحقيقة فأطنعني عليها لئلا أخط في ظنوني.

— ما اسمك ومن أين أنت قبل كل شيء. — أنا فلان.

— أو أنت فلان كم سمعت باسمك. — نعم أنا فلان.

— لي الشرف بمعرفتك أما أنا فاسمي. . . .

— تشرفت بحضرتك هات إذا قص عني أمرك كنه ولك الفضل.

— ما دمت في علم من أمرنا فهناك أقص عليك ما وقع لي بحسنة ولكن تعال وتفصل

لنجنس في مكان فجئنا في قهوة قريية ثم شرع في الحديث يقول:

اعلم يا سيدي أن لي صديقاً عرفني إلى هذه الفتاة وهي من عائلة كريمة ولا تزال تنبذ في إحدى المدارس الداخلية وكان بينها وبين الصديق روابط واجتماعات دامت نحو عام وصادف أني وجدتها عند صديقي فقدمني إليها فسأل قنني إليها واقتنصت الفرص فطلبت الاجتماع بها فوعدتني هذه الليلة إلى ذلك المكان لأن ليلة السبت ليلة دخولها المدرسة فالمدرسة لا نتم لتأخرها عني ما يظهر وأهنيها يعنون أنها ذهبت إلى

المدرسة ففتحنا على عمدة المدرسة وأهله في آن واحد وهكذا كانت تفعل مع صديقي الذي أغواها إغواء الشيطان ولعب بعقلها في كتبه الغرامية وهي لا تزال في سن طفوليتها لا تعرف كيف تفكر في مستقبلها وشرفها مع شرف أسرتها فسحر لها واستحوذ على عواطفها فانقادت له طيعة حتى صارت لا تبالي بشيء يحس عفافها ولا يخفى عليك أن أكثر الجاهلات يمتدحون أن الفتاة إذا كانت بالغة فهي حرة تصرف بخصمها كما تشاء.

— فقلت تباً لك أيتها الحرية كم أساء إليك الجاهلون والجاهلات وكم ارتكبت باسمك الفظائع البشرية دخلت الشرق من الغرب بعد فقد حريته الطاهرة فلم يأخذ منك إلا حرية الرقص والمداعبة وحرية تناول الكؤوس على رؤوس الأشهاد والتفاخر بالمقامرة واعتبار القمار دليلاً على المدنية وحرية التبرج وفي الجنة حرية كل شيء يحس الفضائل ومحاسن الأخلاق وما يجرح العواطف الشريفة ولم يأخذ منك حرية الكلام والاجتماع والجمعيات ولا حرية الكتابة والطبع والمطبوعات ولا حرية التعليم التي فيها الحياة ولذلك فشا الفساد في الشرق وأصبحت الرذائل مكان الفضائل على أننا في حاجة إلى حرية فاضلة وأما حرية تلك الرذائل فإنها لا تشر إلا فساد الأخلاق وموت الفضيلة وتحذير الشعور والإحساس وقتل الشعب وإماتة الجامعة وذلك الأمة. وحذا غيرة الحكومة المصرية في منعها الخشيش حياً بإحياء النفوس التي أمانها والعواطف التي خدرها ولت الحكومة تبدل مثل هذه العناية في منع التهلكة ولعب القمار الذي فيه الدمار.

مهلاً يا سيدي لقد حركت عواطفني وجرحت فؤادي وأخرجتني عني ألكا هي التي شجعتني فلولا أنني رأيت منها ميلاً وأنست منها حقناً لما أقدمت عني طلب الاجتناع بها.

— تباً لكم معشر الرجال ما أقسى قلوبكم تصرفون اقتداركم ومعارفكم في التسلط عني قلوب النساء الضعيفة وهل تنتظر مقاومة تنشل فيها العفة والعقل عفة تمنع قلب هذه الفتاة الضعيفة التي لا تزال في مهد الطفولية بين صفوف الطالبات من تصيل الرجال وحياتلهم الشيطانية ولا ريب بأن صديقك هو الذي أغواها وأفسد أخلاقها أنا لا أشك بأن الوسط الذي تنشأ فيه الفتاة من أكبر العوامل المؤثرة في نفسها ولكني لا أجهل أيضاً أن حسن التعليم وإتقان التربية في المدارس وشدة الاعتناء تصلح ما فسد في البيت وربما قرأت عن جيش المجاهدين في بلاد أسوج كيف يحاربون البغاء ويخلصون الباغيات من العهر والفجور فتصبح العاهرة بفضل هذا الجيش المنظم مثال الطهر والعفة فالفتاة التي نشأت عني تربية حسنة ثم زيتها المدرسة بالأداب والفصائل وثقفت عقنها وأحسن تعليمها ولا يستهويها فاسد مثل صديقك ولكن نقص التربية البيت وعدم الاعتناء في المدرسة وهذه الحرية الفاسدة ومهارة أمثال صديقك تفسد الملائكة فنا بالك بالنساء وما قلوبهن الأهواء فنخرج إلى حديثنا.

— كان موعدنا هذه الليلة فخرجت الفتاة من بيت أبيها تحمل ما ينزمها في المدرسة وأتت إلي لأقضي معها ساعة أنس وطرب فنا جاءت أدخلتها اخل الذي أعدته لها فنا دخلت طلبت لها الجعة فنا بدأنا بالشرب حتى فاجأنا الفقى المصر وبصق في وجهها وشتها وخرج يستقدم الشرطي كئنا رأيت فأخذها الخوف الشديد ودأخني الريب فكنت أكثر منها خوفاً فسألتها عنه فقالت هو ابن عني فطار عني وأخذت أفكر

بماذا أفعل فخطر بيالي التظاهر بالشجاعة لأني خفت من أن يكون الأمر مديراً ليهودية
 بها عني أن الجاني كان صديقي فخرجت من المكان وأخذتني معي فركبنا العربية وذهبنا
 إلى المخفر لأشكو أمر الرجل والشرطي لأنهما اعتديا على حريتنا.
 — بنيت تلك الحرية.

— ولما رأى الفتى دخولنا إلى المخفر ذهب مع الشرطي فسارعت بإركاب الفتاة
 وإرسالها إلى مدرستها وإذا رجع الفتى عرضت له قصتي فقال أنه من جمعية سرية تناهض
 البغاء والفجور وأنكر أنه ابن عنها ولكنه يعرفها وأخبرني عن أسرقها ثم تفارقنا على
 ذلك وأشهد والله عني أنني تبت توبة نصوحاً ولن أفعل مثل هذه الأفعال لأن الخوف
 الذي استولى عني لم أصادفه في حياتي وبعد أن مكثنا هنيئة من الزمان تفارقنا على أمل
 دوام الحياة.

فهذه قصة واقعية حدثت منها ما حلفت لئلا يفهم الناس أبطالها ونشرتها لتبرهن لئلا
 لا يفهمون معنى الحرية وأن الحرية الفاضلة إنما وجدت لرفي الشعوب وراحتهم ولكن
 أمثال هذه الحرية الفاسدة لا تقوم بشعب بل تكون عنة والمخطاطة بعلمه وأدبه وأخلاقه
 ونفوسه وماله.

صدور المقتبس

يعود المقتبس اليوم إلى الصدور في القاهرة بعد أن فارقها نحو أربع سنين إلى دمشق
 متخصاً من مشاغب السياسة ومتاعبها. وكأنا شعرت بما نلقاه في خلال هذه السنة
 السابعة لإصدار اللجنة فاشرنا في المقدمة إلى أننا سنتخلي عن السياسة الآن لتصرف
 لجنة واحدة إلى خدمة العنم فيها قد تحقق ظناً مكرمين وعدنا إلى هذا القطر السعيد
 مغبوطين وسيكون لنا من محيطه الواسع ومدنيته الغضة ما يدعونا بحمد الله إلى تجويد

عننا هذا أكثر مما جودناه فنخدم قراء العربية فيما نؤلفه ونترجمه ونبحث فيه ننتقده
ويكتبه لنا مآزرنا الكرام في البلاد العربية وغيرها حتى نبلغ بالمقتبس الدرجة التي
نتوخاها هاله بالنسبة لرقى البلاد والأمة والله المسؤول أن يملأنا إلى الصواب ويحفظ لنا
غامض العنوم والأداب بحمد وحسن تيسيره.